الجزء ٧ المجلد ٧

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تموز سنة ١٩٢٧ م الموافق المحرم سنة ١٣٤٦ هـ

بحث في بعض اصطلاحات

« النبات والحيوان »

طلب اليَّ اديب كبير لا يسعني ردّه ان اكتب شيئاً في علم النبات او علم الحيوان فكتبت في ما يلي بعض ما عثرت عليه في كتب القوم من الالفاظ التي ربما رأى فيها الادباء ما يصلح استعماله في هذين العلمين او التي فيها خلاف او كانت غير معروفة عند عامة القراء وذكرت بعد كل اصطلاح ما يقابله بالانكليزية او باللاتينية . اما الاصطلاح الفرنسي فانه لا يختلف عن الاصطلاح الانكليزي في غالب الاحيان الا في كتابته . على اني ذكرت الاصطلاحين معاً متى كان الفرق بينهما كبيراً . ولم اكثر من الالفاظ الأعجمية بحروف لاتينية تسهيلاً لجمع الحروف بل ذكرت عدداً وافراً منها بحروف عربية لا يصعب على الأديب معرفة اصلها الافرنجي . ولا يخفى ان الطريق وعر وان السائر فيه لا يأمن العثار فلا عجب اذا كثرت عثراتي فيه فارجو من الادباء إقالتها او الاغضاء عنها . وهاك بعض ما عثرت عليه او فيه من الفاظ علم النبات :

(١) : البَزرة من النبات كالبيضة الملقَّحة من الحيوان اي هي نبات صغير في حالة السكون فاذا أصابتها الحرارة والرطوبة فرَّخت ونمت وصارت نباتاً مثل النبات الذي حملها ففيها اذاً الاصل او الجنين الذي يخرج منه النبات وهذا الاصل او الجنين اسمه الفُوف بالعربية (Embryo) . قال في التاج « هو الحبة البيضاء في باطن النَّواة التي تنبت منها النخلة » . وهو قول لا يحتاج الى تفسير فالفوف هو الانبريون عند علماء النبات وكذا ترجمها لاين صاحب مدّ القاموس .

وفيها اي البزرة نكتة في الموضع الذي يكون الفوف وراءه يقال لها النَّقير والنقّيرة والنُّقْرة والأُنقور (Hilum) قال ابن سيده في وصف النخلة « اول اسمائها النقيرة . والنقيرة نُقْرة العجمة قال ابو زيد : النقير النقرة التي في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة من حبة صغيرة مدوّرة تكون في ذلك الموضع » (المخصص ١١ ١٠٢) واللفظة اللاتينية التي تقدم ذكرها والتي اتخذها النباتيون لهذا المعنى هي كالعربية حقيقةً ومجازاً اي معناها النقرة التي في البزرة والشيء الزهيد كذلك بالعربية فانه يقال لايملك شروى نقير اي لايملك شيئاً . واللفظة عينها مستعملة في التشريح و يراد بها النقرة التي تدخل منها الأوعية والأعصاب والقنوات فالاصح ان يقال نقير الكبد او أُنقورها ونقير الرئة ونقير الكلية الخ . وهو أفضل من قولنا سُرّة لان السرة كما لا يخفى هي موضع آخر له اسم آخر عند علماء التشريح . ولا شبهة ان الفوف هو جنين البزرة كما تقدم عن التاج وغيره وهي أفضل من الرُّشَيم تصغير رَشم كما في مدارس الاستانة فمادة رسم ورشم واحدة والرَّشم في اللغة الأثر واول مايظهر من النبت ولكن النبت اذا ظهر يكون قد فرَّخ وخرج من البزرة اي ان الرشم هو الفرخ من النبت فلا يصح ان يقال هو الجنين والا جاز ان نسمي جنين الانسان وُلَيْداً تصغير وَلِيْد او طُفَيْلاً تصغير طفل وان نسمي جنين الفرس مُهَيْراً وهلم جراً . ثم ان اللغويين ذكروا للنبت في اول ظهوره اسماء كثيرة غير الرشم معظمها في المخصص (١٠ : ١٨٢ الى ١٨٧) وكلها أفضل من الرشم ولكنها لاتصلح للجنين . ثم ما المانع من اطلاقنا لفظة الجنين على الصغير من الاحياء قبل خروجه سواء كان في النبات او في الحيوان قال ابن سيده : « مادام الولد في بطن أمه فهو جنين ..... وقد يكون في غير الناس » (المخصص ١ : ٣٠) . وان قيل ان علماء الاحياء يستعملون لفظتين احداهما يونانية وهي الانبريون مشتقة من فعل معناه عَلِقَت اي حَبِلَت و يريدون بها في النبات والحيوانات الدنيا الصغير مطلقاً في ما زال في البزرة او في البيضة او في بطن أمه وفي الحيوانات اللبونة الجنين في اوله وهو في الانسان من زمن العُلوق الى آخر الاسبوع الخامس او أكثر من ذلك . واللفظة الثانية لاتينية وهي فيتس و يريدون بها الصغير في دوره الاخير اي بعد الاسبوع الخامس في الانسان فالجواب على ذلك ان الانبريون

في الانسان هو العلقة وقد وردت في وصف تخلّق الانسان في سورة المؤمنين في قوله : « ولقد خلقنا الانسان » الآية الى آخر قوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » . والانبريون في النبات هو الجنين او الفوف وفي الحيوان الثَّمَرة (تاج العروس) وفي الانسان العلقة او المضغة وفي دوره الاخير الجنين . وقد استعمل اطباء مصر هذه اللفظة اي العلقة ووردت في معجم النجّاري ومعجم البقلي على انهم قالوا في غالب الاحيان الجنين سواء كان في دوره الاول او الثاني . وأمامي الآن كتاب مصري في الطب الشرعي ليس فيه بهذا المعنى الا لفظة الجنين ولم ير مؤلفه حاجة الى غيرها بل قال الجنين في شهره الاول والجنين في شهره الثاني الخ . ولم يجد أطباء مصر وبيروت حاجة الى استعمال لفظة غير الجنين في الاحياء كلها وفي جميع الأدوار وقالوا علم الأجنة او الكلام على الجنين او مبحث الجنين ولم يقولوا مبحث الرُّشَيم ولم يروا حاجة الى هذا الاستعمال الغريب .

وفي النقير نُقْبة يقال لها البويب (Micropyle) وهي ترجمة اللفظة اليونانية ومعناها الباب الصغير ومنه يخرج الفوف اذا فرّخ . وفي البزرة السُّوَيداء (Endosperm) وهي مادة يغتذي منها الفوف تكون نشَوية او دُهنية او آحيّة او غير ذلك . والسويداء من وضع أطباء مصر استعاروها من سويداء القلب وهي حسنة جداً . ولكل بزرة غلاف يقال له الغِدْفة (Testa) والغدفة لباس الفول والدَّجْر[1] ونحوهما (المخصص ١١ : ٦٢) وربما كان لها غلافان فيسمى الغلاف الباطن منها السِّيرَاء والقِطار او القِطمير (Tegumen) . وفي البزرة خلايا واحدها خَلِيّة (Cell) وأطباء الاستانة يقولون حُجَيرة تصغير حُجْرة والخلية أصلح لانها أقرب الى ما يقابلها عند الافرنج او لان الاصلين واحد . ولكل خلية عضد او جدار يقال له خَلِيُّوس (Cellulose) . وقد يتحول الخليوس الى مواد أُخرى منها البَهْشين او الشوبرين (Suberin) . والبَهْش عربية وهي نوع من البلُّوط يخرج من قرفته الفِلّين او القُرْق (انظر اللفظتين في دوزي) والشوبر لاتينية بمعنى البهش وقد ورد ذكر البهش والشوبر في مفردات ابن البيطار . و يقال للمادة الملونة في النبات

(١) اللوبياء . (المجمع)

يَخضوب (Chlorophyll) وزان فعول وأظنها من أوضاع الاب انستاس · ويَخضير ويَغضير وزان فعيل وأظنها من وضع اليازجي ولا أذكرجزء المشرق ولاجزء الضياء اللذين فيهما ذكر هذه الألفاظ وهي حسنة جداً · ومعنى كلوروفل باليونانية خُضْرة الورق ·

واذا فرّخ النبات اي خرج من بزره قيل له السَّبَد (Plumule) واللفظة اللاتينية معناها السَّبَد اي الزَّغَب وهو صغار الريش · ويقول العرب سبَّد البقل وأسبد · ويقال للسبد الغَفَر وقد أغفرت الارض وهو مأخوذ من الغفر وهو الشَّعَر الصغار القصار · ويقال له البارض والوادس والوديس والنميص (المخصص ١٠ : ٨٤ و١٨٦) على ان السَّبَد والغَفَر أقرب الى المعنى الافرنجي · ثم اذا ضرب الفرخ في الارض قيل لما يضرب منه النَّتْش (المخصص ١٠ : ١٨٦) (Radicle) ومعنى اللفظة الافرنجية الجُذَير تصغير جذر · ويقال لما بين السبد والنتش العَجُز والقَصَرة والمِقْمَد (المخصص ١١ : ١٠٤) (Hypocotyle) ومعنى اللفظة اليونانية تحت الفلقتين وهما في الفرخ بين السبد والنتش · ومن العجز او القصرة تنشأ الساق ·

اما الجذور فيقال للاصلي منها الذي تتفرع منه باقي الجذور الأُرُومة (primory root) فاذا ضرب في الارض وكان مستقيماً فهو الجِنْث (Taproot. pavot) وفي المخصص « الجِنْث اصل الشجرة وهو العرق المستقيم أرومته في الارض» (١١ : ١٠) والجنث اما مخروطي كالجَزَر او مِغْزلي كالفُجل وما يقابلها بالافرنجية معروف او شَلْجَمي كالشلجم (Napiform) · وقد يقال للجنث اذا كان مخروطياً او مغزلياً او شلجمياً جَزَرة او فُجْلة (المخصص ١١ : ١٥٩ و١٦٩) او شلجمة ولو كان جذر نبات خلاف الجزر او الفجل او الشلجم ·

وعلى سطح الجذور زَغَب (Cilia) وعلى رأس كل جذر نام خلايا مجتمعة يقال لها عَمْرة او كُمَّة (Cap) وهما في اللغة غطاء الرأس ·

واذا نمت القَصَرة وارتفعت فهي الساق (Caulis. Stem. Tige) او الجِذْع (Trunk. Tronc) وهو ساق النخلة خاصة وقد يستعار لغيرها (المخصص ١٠ : ٢١٥) واذا كانت ساق نبات كالقصب او الذرة او القمح فهي قَصَبة او يَراعة او قلم (Culm) واللفظة اللاتينية هذه من قَلَمُس اليونانية وهذه من القلم العربية · و يقال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لواحدة الابن او العُجَر او العُقَد او الكُعوب التي في القصبة او الساق أُبْنة وعُجْرة وعُقدة وكَعْب (Node) وأفضلها العقدة لانها شائعة في الفلك وغيره من العلوم . واذا كان العود كثير العقد فهو معقَّد وأعقَد ومُعجَّر (Nodular) ومنه العُجْرم لنبت معروف . و يقال لما بين عقدتين أُنبوب وأُنبوبة (Internode)

والساق اما مستقيمة ذاهبة صعداً (Erect) فيقال لها صَعْدة . او مسلنطحة و يقال لها مستلقية ومسنطحة ومتسطحة ومفترشة ومنبسطة (Prostrate) . او عارشة ومعترشة ومعرِّشة كالكرم (Climter. plante grimpante) او ملتفة على عود او شجرة أُخرى كالأبلات فيقال لها عَصْبة وعِطْفة او عَطفة (Tuviner. Convolve) (المخصص ١١ : ١٨٤) ويقال لواحد الخيوط التي يعترش بها الكرم ونحوه حالق وأُظفور وعِطفة ورِشاء وحَبْلة (Tendril) .

ثم ان الساق قد تسير على سطح الارض ثم تضرب فيها وتصير جذوراً او عروقاً فاذا كانت كذلك فهي حَبلة وسارعة وسرع وسَرْع وشكير ونامية (Runner. Rejeton) (المخصص (١١ : ٦٥) واذا كان الشكير مرتفعاً عن سطح الارض ثم ضرب فيها وفرَّخ فهو الراكب والراكوب والرَّكوب والرَّكابة واللاحقة (Stolon) (المخصص ١١ : ١٠٣) والزرّاع يعرفون ذلك فيعمدون الى الشكير او الراكوب ويدفنون طرفه في التراب ليفرخ وهم يسمون ذلك في مصر بالترقيد وفي الشام بالدَّرْخ والتدريخ وفي العراق بالتنويم (Layering. marcottage) وربما قالوا في بعض انحاء العراق التدريخ كالشام وهي سريانية على ما علمت وفصيحها عكس وتعكيس ولا بأس بالترقيد والتنويم . اما الشكير الذي يُكبس فهو العَكيس . Layer.) (marcotte وفي الشام الداروخ وفي مصر الترقيدة . واذا كان الشكير تحت التراب ثم سار قليلاً وخرجت منه جذور وفرَّخ فهو الرائد والشَّطء والشَّطأ (Sucker. drageon.) كما في النخل والزيتون والكرنب . وجميع ما تقدم مستعار من الكرم او النخل او من كليهما .

واذا كانت الساق جذوراً كما في الزنجبيل والراسَن فهي عروق واحدها عِرْق (Rhizome) وربما قيل أُرُومة وجُذمور وجِذمار . فاذا كان العرق دقيقاً فيه

عقد صغيرة كما في النجيل والسُعْد وحَبّ الزَلَم فهو سُعْدة وسُعادى (Sobole) (المخصص ١١ : ١٦٨) وبماقيل نَجيلة وثِيْلة كما نقول بَصَلة لكل أُرومة مثل اورمة البصل فنقول بصلة العُنْصل وبصلة النرجس ونحوهما . واذا كان العرق عقداً غليظة كثيرة النشا كالقلقاس والبطاطس فهو عَسْقل وعُسْقول (Tuber) واللفظة اللاتينية معناها في الاصل الكمء فاستعارها النباتيون لهذا العرق ولما كان للكمء اسماء كثيرة بالعربية فلا بأس باستعارة ما كان غير شائع منها لهذا المعنى الخاص . واذا كانت الساق او الازومة او العرق فَلْكَة في أسفلها جذور وفوقها قشور متراكمة فهي بصلة (Bulb) كما في البصل الذي يؤكل والعنصل والنرجس . واذا كانت عقدة او كبساً تحت الارض كما في الزعفران فهي كعب وجِرْعِثن وجِرْثِم وقُرْمة (Corm. chicot) وهذه الاخيرة عامية شامية بهذا المعنى و يريدون بها كما في اليونانية اي ارومة الشجرة الباقية في الارض واهل العراق يقولون كعباً وهي فصيحة . ومنها الكَعْكوب عندهم وهو العكوب في الشام . وللقرمة وجه في اللغة فهي نبات يخرج من الماء (المخصص ١١ : ١٦٨) وللمادة قَرَم وما اشتق منها معانٍ كثيرة تدل على القطع ولا يبعد ان قُرْمُس اليونانية من اصل سامي .

والنبات ثلاثة أصناف الشجر والجَنْبَة والبقل فالشجر واحدته شجرة (Arbor) وهو ما عظم منه وكانت له ساق واحدة خشبية . والجنبة (Arbustus, strub . arbuste) كالشجر الا انها أصغر ولها سوق عدّة تخرج فروعاً من الارض او فوق الارض قليلاً منها الورد والآس والخطمي والقطن . وربما قيل للجنبة شجيرة تصغير شجرة لكن الجنبة أصلح لهذا التعبير لان الشجيرة قد تكون الشجرة الصغيرة في العمر وليس هو المراد بالجنبة فهي الصغيرة خلقة على ان ابن سيده وغيره من علماء اللغة قالوا تارة جنبة وتارة شجيرة بهذا المعنى الذي يريده علماء النبات لكنهم لم يقولوا نجماً قط كما جاء في بعض كتب النبات الحديثة فالنجم في اللغة كل ما كان خلاف الشجر . قال في التاج : « والنجم من النبات ماظهر على وجه الارض ونجم على غير ساق وتسطح فلم ينهض وقد خص بذلك كما خص القائم على ساق منه بالشجر و به فُسّر قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » . وقال في مكان آخر النجم الثيّل الواحدة نجمة .

وقال : « الجنبة عامة الشجر التي تتريّل في زمن الصيف » . وقال الازهري : « اسم لنبوت كثيرة وهي كلها عروق سميت جنبة لانها صغرت عن الشجر الكبار وارتفعت عن التي لا أرومة لها في الارض فمن الجنبة النصي والصليان والحماط والمكر والخذر والدهماء صغرت عن الشجر ونبلت عن البقول ..... وقيل مافوق البقل ودون الشجر وقيل هو كل نبت مورق في الصيف من غير مطر او هي ما كان بين البقل والشجر » . انتهى ما أريد نقله عن التاج . انظر كذلك المخصص ١٠ : ١٨٧ . وذكر ابن سيده نبوتاً كثيرة من الجنبة قال : « الطريقة بين البقل والشجر لذلك سميت جنبة » (المخصص ١١ : ١٧٦) .

اما البقل واحدته بقلة (Herba) فهو كل نبت يبيد الشتاء أرومته وفرعه منه القمح والرجلة والقت والفول واللوبياء والاقحوان على أنواعه ومعظم الخضراوات التي تؤكل لذلك يقال لها البقول ومن أسماء البقل العابط (المخصص ١٠ : ٢١١) .

ومن سوء الحظ انهم سموا فصيلة من فصائل النبات بالبقلية وسماها غيرهم بالقرنية (Legumenosae) واسمها مأخوذ من (Legumen) باللاتينية ومعناه القرنية واحدة القطاني وهي الحبوب التي تطبخ كالفول والعدس والماش والحمص واللوبياء وكلها من هذه الفصيلة وكذا معنى (Legume) بالانكليزية والفرنسية على انه شاع استعمالها بالانكليزية للسنفة اي ثمرة هذه النباتات و بالفرنسية للبقول اي الخضراوات التي تؤكل سواء كانت من القطاني كاللوبياء او من غيرها كالكرنب والرجلة ونحوهما فالذين أخذوا عن الفرنسية سموها البقلية وهي لا تؤدي المعنى المقصود لان البقول كما لا يخفى تشمل القطاني وانواعاً كثيرة من الخضراوات ليست من هذه الفصيلة فالفجل والجزر والكرفس والجرجير والرشاد والخس والهندباء والكرنب والرجلة والملوخية والخبازى كلها بقول وهي من فصائل غيرهذه .. اماالذين أخذوا عن الانكليزية فسموها القرنية نسبة الى هذه الثمار التي لها كلها قرون سواء كانت من القطاني او من العضاه كالسنط والسمر والسيال والطلح والأبنج والخمر اي التمر الهندي وكلها من هذه الفصيلة وهي اشجار وليست من البقول وثمارها كلها قرون . اما القرن ويقال له السنف والسنفة والحبلة والخنبل والعلف (المخصص ١١ : ١٨٢و١٨٣و١٨٤)

فهو الاسم الشائع لثمار هذه النباتات في مصر والشام واللفظة ليست عامية بهذا المعنى بل وردت كثيراً في كتب اللغة في وصف هذه الثمار · قال ابن سيده (المخصص ١١ : ١٥٠ و١٦٦ و١٨٢ و١٩١) « وقرون كقرون اللوبياء وقرون كقرون الباقلّى » ·

ولعل أحسن اسم لهذه الفصيلة اذا أردنا اصلها اللغوي هو فصيلة القطاني او الفصيلة القطانية لا القطنية دفعاً للالتباس لئلا يظن انها منسوبة الى القطن وهو ليس منها · واذا اردنا وصفها بثمارها فالفصيلة القرنية او السنفية فثمارها كلها قرون اي سنوف ·

كذلك في بيروت فانهم سموا فصيلة غير هذه بالبقلية (Portulacaceae) لان البقلة عندهم هي البقلة الحمقاء وعربيتها الرجلة وهي شائعة في مصر ومن اسمائها الفارسية المعرّبة الفَرْفَخ والفرفحين وهذا شائع في لبنان والفَرْفين والبغاددة يقولون البربين بباءين فارسيتين · وحقها ان تسمى الفصيلة الرجلية او الفرفينية الخ فانه لايجوز تسمية فصيلة من الفصائل بالبقلية سواء كانت هذه وتلك او غيرهما ·

والنباتات بالنسبة الى أعمارها اما سنوية ويقال عامية (Annual) وهي التي تبيد اصولها وفروعها في سنة واحدة او أقل ومنها معظم البقول · او مُحَوَّلة (Biennial) وهي التي تدخر غذاءها في أرومتها وتبيد فروعها في الشتاء ثم تتبرّل في الصيف كالجزر والفجل والشلجم من البقول وكالباذنجان والحَدَق من الجنبة · او مُعمِّرة (Perennial) وهي التي تعيش أعواماً كثيرة كالشجر وأكثر الجنبة · وربما قيل للمعمرة الخالدة او الدائمة على ان المعمرة أصلح ·

ويؤلف الجذر والساق في معظم الشجر من الخشب والقشرة · فالخشب نوعان : الخشب الصُلْب في القلب وهو الجِلْب والجُلْب والجُلْبة (Duramen) (المخصص ١١ : ١٩٠) ويقال له الخشب الحقيقي · والنوع الثاني هو الخشب الابيض (Alburnum) ويقال له الخشب الكاذب ·

والقشرة (Cortex) ويقال لها القِرْف والقِرْفة والقُرافة ومنه القرفة لقشرة الدارصيني ونحوه كذلك القِلْف والقُلافة هي ثلاث طبقات فالتي تلي الخشب يقال لها اللِّحاء (Liber Bast) وهي طبقة ليفية تفتل منها الحبال · قال ابن سيده : « اللحاء القشر الرقيق الذي يلي صميم العود » (المخصص ١١ : ١٤٠) وذكر نباتات

كثيرة تفتل الحبال من لحائها منها العُرْفُط قال « و يصنع من لحائه الارشية » (المخصص ١١ : ١٨٤) . والطبقة التي تلي اللحاء يقال لها النَّجَب (Suber Cork Liège) قال في المخصص « هو ما فوق اللحاء » (١١ : ١٤) . والاسماء الثلاثة اي اللاتيني والانكليزي والفرنسي تطلق على البَهْش وعلى هذه الطبقة من قشره والبهش نوع من البلوط يسميه النباتيون (Zuercus ilex) ذكره ابن البيطار وذكر من اسمائه الشوبر وهي لاتينية اما البهش فعربية . و يعرف قشر البهش عند عامة المصر بين بالفِلّ وهي من فَلَّس باليونانيــة ومعناها البهش وقشره ، وعند عامة اهل الشام بالفلّين من فَلِّينوس باليونانية نسبة الى فلّس . و يعرف في المغرب بالقُرْق قال دوزي هي من قُرْقُس باللاتينية ومعناها قشرة وقد مرّ بنا ان الاسم العلمي للبلوط هو قرقس ولعلها من القرق المغربية فجميع هذه الالفاظ متشابهة ولا شبهة في ان البهش هو شجر الفلين فكما أطلق الافرنج الاسم الافرنجي على هذا الشجر وعلى قشره يجوز لنا ان نضع مثل هذا الوضع اي ان نسمي الطبقة الثانية من قشرة الشجر بالبهش وان شئنا قلنا النجب وكلاهما عربي او الشوبر وهي لاتينية او الفلين وهي يونانية او القرق وهي مغربيــة . وجميع ما تقدم عن المخصص وابن البيطار ودوزي . اما الطبقة الثالثة من القشرة فهي البَشَرة (Cuticle) وهي مستعارة من بشرة الانسان ولا أعرف لها اسماً غير هذا .

بقي هناك طبقة بين الخشب واللحاء تولد الخشب واللحاء وتعرف عند النباتيين بالكنبيون (Cambium) وهي لفظة لاتينية من فعل معناه حوّل او بدّل ومنه الكمبيو اي الحوالة عند التجار . ولا بد ان العرب وضعوا لفظة لهذه الطبقة لانهم كانوا على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيء مما بين ايديهم فالذين عرفوا ان الفوف على صغره هو جنين النبات في البزرة لا بد انهم عرفوا هذه الطبقة اللزجة الحلوة الطعم التي بين العود وقشره على انني لم أجد شيئاً صريحاً بهذا المعنى سوى في كتاب الفلاحة لابن العوّام فانه سمى هذه الطبقة بالمادة (المجلد الاول من الترجمة الفرنسية الصفحة ٢٤٤ في الحاشية) كذا قال كلمان موليه مترجم الكتاب ولعل الذي لديه نسخة عربية من هذا الكتاب النفيس يجد ان المؤلف ذكر انها مادة الأسغ كما

يظهر من الترجمة فان المترجم يقول : (Matière Sèveuse) وذكر في الحاشية لفظة المادة بالعربية بحروف عربية لكنه لم يذكر النسغ . وان تسمية الكنيبيون بالمادة حسن جداً لكن المادة قد اشتهرت بمعنى آخر والذي أراه ان الكنيبيون هو النُسغ وهو على ما جاء في كتب اللغة « ما يخرج من الشجرة اذا قطعت » وقالوا انسغت الفسيلة اذا أخرجت قلبها وأنسغت الشجرة نبتت بعدما قطعت وكذلك الكرم اما « قلب النخلة وقُلْبها وقِلْبها فهو الشحم الذي في رأسها وكذلك الجُمَّار والجامور والكَثَر) كل ذلك وارد في كتب اللغة (المخصص ١١ : ١٠٥) ولا يخفى ان معظم الشجر ينمو من الخارج الا ما كان منه كالنخل فانه ينمو من أعلاه اي من الجمار وقد عرف العرب ذلك وعرفوا ان الجمار اذا نزع ماتت النخلة . ثم انه اذا قطعت الشجرة او نشرت بمنشار فانه يرى على سطحها المقطوع دائرة او طبقة لزجة بين القشرة والخشب واذا فرّخت فانها تفرّخ من هذا الموضع لذلك قالوا أنسغت الفسيلة اذا أخرجت قلبها وأنسغت الشجرة نبتت بعدما قطعت فالنُسغ والقَلْب والجُمَّار هو الكنيبيون الذي تنمو الشجرة منه على ان النُسغ قد شاع في كتب النبات للدَمَّاع (Saps Sève) فلا سبيل الى تغيير هذا الاستعمال والأصلح ان يقال للكنيبيون القُلْب او الجُمَّار او الجامور او الكَثَر والله أعلم .

وعسى ان أُوفق الى متابعة البحث في اصطلاحات النبات في الجزء التالي .

عضو المجمع العلمي العربي

بغداد : الحكيم امين المعلوف

رحلة الى حلب والشام (١)

«في سنة ١١٥٠ هـ — ١٧٣٧ م»

— ١ —

نشرنا في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ مقالاً بعنوان (الكراس الشارد) وصفنا فيه ذلك الكراس ومضامينه وصفاً يلذ لمتتبع تاريخ سورية لاسيما معرفة أطوار سكانها الاجتماعية منذ مائتي سنة . وقد سألنا قراء مجلتنا عما اذا كان عندهم نبأ من امر الرحلة التي شرد منها ذلك الكراس . فلم يفجأنا الا كتاب من الصديق الأبر العلامة احمد باشا تيمور يقول فيه : ان كراسنا الذي وصفناه هو من رحلة كبيرة للشيخ احمد ابن صالح الادهمي الطرابلسي المتوفى (سنة ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م) وقد سمى رحلته هذه (تحفة الأدب في الرحلة من دمياط الى الشام وحلب) فنشرنا الكتاب الذي جاءنا من العلامة المشار اليه في مجلد هذه السنة ص ٢٣٦ وعلقنا عليه . ثم كتبنا اليه ان يرسل الينا الرحلة نفسها لنقتبس من فوائدها الاجتماعية على نمط ما فعلنا في كراسها الشارد . فلم يعتم علامتنا ان بعث بالرحلة المخطوطة الينا فاذا هي كما وصف في كتابه . ولما تصفحناها رأينا فيها أخباراً عن حلب ودمشق جديرة بالنقل . واعجاب اهل العلم والفضل .

خلاصة مامر من مضامين (الكراس الشارد) ان المؤلف سافر من القطر المصري الى وطنه الاصلي طرابلس الشام وقد جرت له في طريقه اليها وفي المدن المجرية التي عرج عليها — امور وصفناها ولخصناها الى ان استقر في طرابلس بين أهله وخلانه . ونبتدئ الآن بتلخيص أخبار رحلته من طرابلس الى حلب ثم الى دمشق :

قال المؤلف جرى في بعض مجالس الانس ذكر التفاضل بين حلب ودمشق « وانه قد وقع بين أهلها خلاف وارتياب . من قديم الزمان وسالف الاحقاب » . وان كل

---

(١) هذه الرحلة تتمة لمقالة (الكراس الشارد) المنشورة في مجلد السنة الماضية ص ٤٨١ والاخبار المسوقة هنا سلسلة متصلة الحلقات بالاخبار التي لخصناها من ذلك الكراس اذ الكل من كتاب واحد ولمؤلف واحد .

فريق يفضل بلده . فقال القيمي اسعد [1] لا بد من الرحلة اليها للفصل في هذا الامر فوافقوه على ذلك و برحوا طرابلس في ١١ محرم سنة ١١٥٠ هـ وكان الزمان ربيعاً وقصدوا اولاً « حلب الشهباء ذات المرأى الوسيم . والمنظر البهج المقفي له بالتقديم » واول ما صادفوا حين خروجهم من طرابلس المزار المشهور باسم (الشيخ البداوي) فزاروه كما هي عادة العلماء في ذلك الزمان فان زيارات الاضرحة المشهورة من جملة الاسباب التي تحملهم على السفر وشد الرحال مع ورود النص في النهي عن ذلك . والبداوي مازال الى اليوم يُقصد للزيارة وعليه مسجد و بجانبه بركة فيها سمك مشهور بنسبته الى ذلك المزار. ثم وصلوا الى (مقام الهام الشهيد) ولعله يعني به المزار المشهور المسمى اليوم (الشيخ بدر) ولا أذكر من هو هذا الشيخ بدر ولماذا وصفه المؤلف بالشهيد وهو ما زال يقصد من القرى التي في جواره للتبرك والتفريج الكروب وطلب الحاجات وصاحب هذا المزار ذكره الشيخ النابلسي مذ ورد طرابلس في رحلته التي سماها (الحقيقة والمجاز) وذلك سنة ١١٠٥ هـ فقال : « ثم مررنا اي(من طرطوس) الى ان وصلنا الى مكان فيه قبة يقال انه دُفن فيها شهيد البحر وهو رجل من الاولياء المشهورين في ذلك المكان وحول قبته أشجار و بساتين وبعض بيوت » انتهى . ومعظم سكان القرى من حواليه هم من طائفة النصيرية . ثم وصلوا الى (القنيطرة) ولا أذكر ان هناك قرية باسم (القنيطرة) فلعلها المنيطرة بالميم وتكون هي التي تسمى اليوم (المنطار) وهي قرية مشهورة كان يملكها المرحوم الحاج عبد الله غازي من أعيان أسكلة طرابلس الشام . ثم نزلوا طرطوس فذمها وذم أهلها ووصف براغيثها فقال :

(وخليل يقول لما رآني ابداً أوسع البراغيث ذمّاً)
(ان في اسم البرغوث برّاً وغوثاً قلت لكن الاسم غير المسمى)

والمؤلف مع رفقته لم يسافروا الى حلب من طريق حماه وانما أخذوا ساحل البحر عن شمالهم الى اللاذقية ومنها سلكوا الوعر الى ادلب فحلب . وصلوا (جبلة) فلم يروا من أهلها حفاوة فلجأوا الى جامع ابراهيم بن ادهم المشهور ثم دخلوا اللاذقية ضيوفاً على

(١) راجع ترجمته في المرادي (ج ٤ ص ١٥٤) .

(احمد الزيادي) بتشديد الياء كما يظهر من قوله فيه :

(خل الفنـاء بزينب وسعاد واقصد مرابع احمدالزياد)

ووصف ما كان من حفاوة هذا الكريم المضياف بهم كما وصف غلمانه وحسنهم وجمالهم من ذلك قوله في الواحد منهم :

(فكأن مالكه المفضل احمد غذاه لبن الانس للعواد)

ولعل صوابه (للوراد) ويفهم من قوله هذا ومن أوصاف أخرى لغلمان الخدمة لدى من كانوا يضيفونه ان شراء المماليك واستخدامهم كان فاشياً بكثرة في مدن الشام ٠ ثم وصف حماماً دخله في اللاذقية بأشنع الاوصاف وقال انه سأل عن اسمه فقيل له (انه حمام العوافي اوالعشور) كذا وصوابه حمام العُشَّر كما أخبرني بعض اهل اللاذقية وموقعه في البازار ٠ ومما وصف به الحمام ان صابونة منتن الروايح واستطرد من بشاعة هذا الحمام الى ذكر ما قاله الشعراء في الحمامات مدحاً وقدحاً وافتتح ذلك بقوله هو في حمام اللاذقية :

(وحمام حوى ما ليس يحصى من الأوساخ والدنس القديم)

(ينادي من اتى يبغي قراه لك البشرى قدمت على الجحيم)

وممن زاره في اللاذقية (الشيخ عبد الفتاح) وقد وصفه بالتقوى والصلاح ويوجد الى اليوم عائلة وجيهة بهذا الاسم في اللاذقية ٠ وصلوا في جامع (الوزير سليمان باشا) ودعاهم للضيافة (احمد بن بديع) وقال ان من المدعوين اليها (حضرة الشيخ عبدالرحمن افندي مفتي اللاذقية) ولعل عبد الرحمن افندي هذا هو جد جد كاتب هذه السطور فقد ترجم له المرادي في تاريخه (سلك الدرر) (ج٢ ص٣٠٣) وقال ان عبدالرحمن افندي المغربي (استقام مفتياً في طرابلس واللاذقية مقدار خمس واربعين سنة وكانت وفاته سنة احدى وتسعين ومائة والف) اي بعد زمن هذه الرحلة باربعين سنة ثم قال عنه ما نصه : « فجرينا معه في الكلام والمذاكرة وبسطنا له بساط المفاكهة والمحاضرة ٠ وهو لا يطوي عن مرامنا كشحاً ٠ ولا يضرب عن الذي طلبناه صفحاً ٠ بل كلما فتحنا له مسألة فقهية ٠ سلك طريق المطارحة بالكناية ٠ فعلمنا بقرائن الحال ٠ انه رجل في

غاية الكمال . فعندها اعتقدنا محبته . وحققنا مع حضرة الوالد صحبته » . يريد ان عبدالرحمن افندي كان من أصحاب والد المؤلف واسمه صالح افندي الادهمي الطرابلسي وكان فاضلاً شاعراً . ثم غادروا اللاذقية الى حلب فمروا بقرية (البهلولية) وهي ملك (احمد الزيادي) الذي كانوا ضيوفه في اللاذقية ومروا بعقبة السكون (او السفكون) ووادي القرشية ووصف وعورة هاتين العقبتين وصعوبة السير فيهما قال « وفي اثناء ذلك الضيق . لاح لنا بيت على قارعة الطريق . فتقدمنا لطلب البيان . فاذا نحن بشيخ وثلاثة نسوان . فسألنا عن الناس الأجواد . فقيل لنا انهم من اهالي الأكراد . واحدى الثلاثة رعبوبة ذات جمال . وغادة قد تسربلت برداء الدلال . فتقدم اليهن رفيقنا (ابن بدران) . وقال هل ماء الى ابن السبيل الوارد العطشان . وصار يطيل النظر اليها . و يلقي من أسرار لواحظه عليها . فاندفعت تسقي الوراد . وطفقت تطفي ببرودة كلامها حرارة الاكباد » . و (ابن بدران) هذا كان امرءًا فيه دعابة وحسن نادرة فكانوا يستخرجون من نكته ولطائفه مايطربهم و يزيل كربهم و يخفف عناءهم قال : « ومرت علينا ونحن في ذلك المكان . قافلة كبيرة من الركبان . فسألنا الى اين أيها الاخوان . فقالوا لنا من ادلب الى زيارة حضرة السلطان . فقلنا لهم مصحوبين بالسلامة ولا زالت العناية لكم ترعى . ولا تنسونا معاشر الاخوان من صالح الدعاء » والسلطان هذا هو السلطان ابراهيم بن أدهم دفين (جبلة) على ساحل البحر بين اللاذقية وطرابلس . قصدته هذه القافلة من اهل ادلب مكابدين عناء السفر وقطع تلك العقاب الشاقة لاجل زيارته مع ان ذلك مما نهى عنه الشارع بصراحة لاتشوبها جمجمة . وهذه القافلة تدل على مبلغ انحطاط التربية الدينية في نفوس الناس يومئذ مما كان مقدمة لثورة محمد بن عبد الوهاب و باعثاً على رفع صوته وانكاره على اهل ذلك الزمان مخالفة آداب السنة وطريقة السلف . ثم وصلوا الى (جسر الشغر) فذمها المؤلف وقدح في مروءة أهلها . حتى بلغوا ادلب فلم يجدوا محلاً لنزولهم ثم وقعوا على مكان عظيم البناء رحب الفناء وسألوا عن صاحبه فخرج اليهم شاب لطيف حسن المحيا فرحب بهم وأخبرهم ان المكان (مطبخة صابون) اي موضع طبخه وصنعه ويسمى ايضاً (مصبنة) مفعلة من الصابون . وصنعة الصابون مازالت الى اليوم من اكبر موارد الرزق

في ادلب . ثم سألوا الشاب عن مالك (المطبخة) فقال هو (احمدافندي ابن طه افندي) نقيب أشراف حلب ثم هيأ لهم في المطبخة مكاناً لنزولهم فنزلوا واذا رجل شائب فظ دهمهم وجعل يسب الشاب بكلام بذيء ونال منهم ايضاً ، فسألوا الشاب عنه وعن خبره فقال ان اسمه (علي النداف) وان والده (اي والد الشاب) كان في هذه المصبنة بيّات (كذا فلعل البيات هو رئيس عمالها او حارسها الذي يبيت فيها) ولما مات والد الشاب جعل هذا الشيخ الفظ يعارضه ويريد رفع يده عن المصبنة قال : « و برقبتي اخوة صغار . وثلاث أخوات أبكار » ثم قال والداهية الدهماء « انه يُسرق لافندينا نصف قنطار من الصابون وانا خايف من افندينا ان يدري » و يعني بقوله (افندينا) مالك المصبنة نقيب أشراف حلب . فبشروه انهم اذا وصلوا حلب واجتمعوا بنقيب الاشراف قصوا عليه الخبر وسألوه تفريج الكرب عن الشاب . وهكذا وقع فانهم ذكروا للنقيب حادثة (علي النداف) وما ارتكبه من قلة الانصاف فخجل وعزله من بيانة المصبنة . ثم تفسحوا في شوارع ادلب وأسواقها فرأوا (في أهلها حسن بشاشة ونوع من الانس واللطافة) لكنهم لما أرادوا الصلاة وجدوا المساجد مقفلة الأبواب حتى ظفروا أخيراً بمدرسة مفتحة الأبواب وأرادوا زيارة « الكاملي الكبير (؟) وهو الذي اتفق على زهده الصغير والكبير » فلم يهتدوا الى داره ! ثم استزارهم المفتي فزاروه للتبرك ودخلوا « الى مكان صغير وجدوا فيه من الأشراف جماً كثير » ثم ان المفتي جعل يشنف آذانهم باخبار بلاد الروم (يعني القسطنطينية) وطلبوا منه زيارة والده . لاجل الشرب من رايق موارده « فأخبرنا انه نائم . وهو في بحر من الولاية عائم » ولا ريب ان المفتي ووالده هما من أسرة (الكيّال) الشهيرة في ادلب وحلب فان هذه الأسرة الكريمة هي المعروفة بالأسرار . والعوم في بحار الأنوار . ثم انهم خرجوا من دار المفتي ولم يروا والده وذهبوا مع الشيخ عمر ؟ فدخلوا الى جامع صغير وتركهم الشيخ عمر وغاب قدر نصف ساعة ثم عاد ومعه (هيطلية) فأكلوا منها بحسب الامكان . و (الهيطلية) حلوى تصنع من النشا وتحلّى بالسكر المذاب . ثم برحوا ادلب الى نبش نخان طومان وقبل ان يصلوا الى حلب رأوا من بعد قباباً وقيل لهم انها قباب (سيدي عبدالله الانصاري) فقرأوا لروحه ما تيسر من القرآن ثم دخلوا حلب من باب المقام ونزلوا في دار السيد حسن الطبلاوي

لانه كان دعاهم الى النزول في داره وهم في طرابلس ففارقهم من خان طومان لإعداد الدار والنزُل . وقال في وصف دار ه « وأدخلنا الى فسيح دار قد زينت بانواع المحاسن والفخار . طوانها بالذهب مغموس . وله بريق كبريق الشموس » . و (طوان) كلمة دخيلة وكنا نحسبها حديثة العهد واذا المؤلف يستعملها منذ مائتي سنة وهي من اللغة التركية ويراد بهـا اليوم سقف الغرفة المغشى بالجبس او الخشب المنقوش بأنواع الأصباغ والزخرف . ثم ذكر توارد أهل حلب للسلام عليه وفي ثاني يوم خرجوا لزيارة نبي الله زكريا فصادف المؤلف في الطريق صديقاً له من بلده طرابلس وكان مجاوراً معه في الأزهر ويظهر من وصفه لصديقه هذا انه من أفاضل الرجال وعظمائهم واسمه (السيد محمد افندي الطرابلسي) وكان له منصب في حلب وعمل في حكومتها . صادفه في الطريق مصادفة فسلم عليه تسليم الصديق المشتاق فلم يعبأ به (محمد افندي) لانه لم يعرفه « وسلم باطراف البنـان . وألوى عن المعرفة العنان . فلما رأيت هذه الأحوال . قلت وعند تغير الحال . للامراء انتقال » فيفهم من هذا ان منصب محمد افندي كان إداريا لا علميا وبان كان هو من العلماء فأعرض عنه المؤلف وقطع الحديث معه لكن صديقه لم يلبث ان أدرك حقيقة الأمر فأسرع اليه واعتذر وألح في ان يأخذه الى داره فلم يقبل . ثم وصلوا الى الجامع وكان يوم جمعة فوصف المؤلف الجامع وضريح سيدنا زكريا بكلام نثر مسجع الى ان قال مخاطباً له : « ها نحن ببابك وقوف . وانت بمكارم الأخلاق موصوف . قمدنا بمددك . وانظمنا في سلك خدمك . فاننا قطعنا بحبك المهامه والقفار . وقلونا الاولاد والديار » . مع ان المؤلف ورفقتـه انما قصدوا حلب والشام لأجل إعمال المقارنة والمفاضلة بينهما لا لأجل طلب المدد من زكريا (صلعم) ومع هذا فقد قال المؤلف : « فسرى علينا من فيضه الايناس . . . وبدت لنا منه أمارات . هي على القبول إشارات » . فما أطيب قلب ذلك النبي الحليم . ثم استأذن المؤلف النبي في الإنصراف قائلاً : « ثم طلبنا الاذن والدستور . بالإنصراف عن رحبه المعمور . فخرجت الإشارة . بالإنصراف وقبول الزيارة » . وكان المؤلف كلما زار ضريحاً عقد محاورة بينه وبين صاحب الضريح ضمنها كلمات : أنوار وإشارات . وبشارات . وبوارق وقبول وإمداد وإذن . ونفحات : ولمحات . في نظير

ذلك وكنا نقرأ مثله في رحلات الشيخ عبد الغني النابلسي وغيره من علماء ذلك الزمان الذي اشتد فيه حلك الظلام . ثم خرجوا من الجامع وطافوا أسواق حلب قال « فحصل لنا فيها غاية الانشراح . لما رأيناه من وجوه أهلها الصباح » الخ الخ . ثم عادوا الى دارهم وفي صبيحة ثاني يوم زارهم (السيد محمد افندي الطرابلسي) فعاد الى الاعتذار للمؤلف عما وقع منه وأخذا يذكران ايام المجاورة في مصر ويتلهفان على تلك الايام التي قضياها ثمه وانشد المؤلف في المعنى أشعاراً في التشوق الى مصر ومغانيها . ودعاهم السيد محمد الى داره وعينوا له وقتاً فذهبوا فيه قال « حتى وصلنا الى شارع مكنوس مرشوش . وبانواع البلاط مفروش » . ووصف الدار والخدمة والغلمان واستقبال صاحب الدار لهم بكل ذلك بأساليب مسجعة . وبانواع البديع مرصعة . وهي تدور حول المبالغة في الوصف والاطراء في التقريظ والمدح الى ان جرت مناسبة لتفسير آية وهي (أغرقوا فأدخلوا ناراً) فخذا كروا فيها وكان مدار البحث على ان فاء التعقيب في (فأدخلوا) هل تدل على عذاب القبر او لا تدل ؟ فذكروا ماقاله الفناري والسعد ثم ذكر مؤلف الرحلة ما كتبه هو في هذه المسألة . ولما أرادوا الانصراف لم يأذن لهم (محمد افندي) حتى أخذ منهم وعداً للضيافة بقيها لهم في بستانه لكن جاء رسوله في الوقت المعين يعتذر لهم « بانه قد حصل لسيده شغل شاغل . عن الورود الى منهلكم الذي هو أعذب المناهل . وفي المحكمة جمعية . لا يمكنه التخلف عنها بالكلية » . ثم عين لهم اليوم الثاني . وذكر المؤلف في جملة الذين زاروه « الشاب اللطيف . نجل الكيلاني السيد عبد اللطيف » . ثم وصفه نثراً وشعراً فقال :

(عبد اللطيف له أنس ومعرفة قد فاق أقرانه باللطف والادب)
(قد جمعت فيه أوصاف مهذبة كأنما صاغه ربي من الذهب)

وكان السيد عبد اللطيف هذا يكثر من زيارتهم وأخيراً دعاهم الى داره « لاقامة الجمعية . المسماة عندهم بالليلة الوردية . فلننا عندهم من أعظم الليال - لجمعها لسائر أنواع الجمال . . . . . فأجبنا دعوته . وأخذنا عليه المواثيق والعهود . ان لا يحضر آلة لهو كطنبور وعود . وقلنا يكفينا لتحريك الشجن . طيب النغمة بالصوت الحسن » . قال ولما جاء الوقت المعين وغربت الشمس « توجهنا مع الاخوان . ونحن لا ندري حقيقة

هذا الشان » . يعني انهم لايدرون كيف تكون « حقيقة تلك الليلة الوردية . المشهورة بين أدباء حلب المحمية » . الى ان وصلوا الدار « وعلى بابهـا قناديل معلقة .... وقادوا بين أيدينا الشموع ... وأدخلونا الى إيوان . كأنه قطعة من الجنان . منقدة فيه من الشموع احد عشر . ومن المصابيح مالايكاد يحصر . قد فرش ذلك المكان من الورد بنحو قنطار . وحفت جوانبه بسائر أنواع الأزهار . كأن الورد وجه خودرداح . وقد وضع على جوانبه نرجس وأقاح . وعلقت بسائر أطراف المكان صوادح البلابل ... وأحدقت بتلك الأزهار زمر ... فيهم كل منشد يحرك الجلمود . مع ظباء هذبت بألطف طباعها .... من كل فتى الخ الخ » ثم وصف المؤلف احدهؤلاء الفتيان باللطف ورقة الحديث وانه كان يدير القهوة على الحاضرين . فقال « وطفق ذلك الغزال . يدير القهوة على الرجال . وكلما سكنت أصوات الألحان . حركت البلابل بنغر يدها لواعج الأشجان . وتناثر الورد على من حضر . كما ينثر الغمام رشاش المطر » فالليلة الوردية عند اهالي حلب . عبارة عن ليلة أنس وطرب . تقام في فصل الربيع يستكثرون فيها من ضروب الأزاهير . لاسيما الورد فانهم يجلبون منه القناطير . و يظهر من تكرار المؤلف لذكر قهوة البن انها كانت لذلك الزمان شائعة الاستعمال في مدن الشام مع قرب العهد بظهورها . ثم قال المؤلف انهم في آخر الليل طووا بساط الغناء والألحان وانتقلوا الى مطارحة كلمات المزاح والمطايبة . ثم مدت موائد الطعام ثم انصرفوا بسلام قائلين : « قد أخذنا من حسن ماراً ينا العجب . وقطعنا بلطافة ابناء حلب» . يريد (بقطعنا) جزمنا وحققنا واعتقدنا . وفي مجلسهم في ثاني يوم عرض ذكر (هبنقة) الأحمق المشهور فسرد المؤلف خبره وحماقاته . وسئل عن الفرق بين (الايغال والإمعان) في فن البديع ففرق بينهما وذكر الشواهد عليهما . ثم ذهبوا في الوقت المعين الى بستان السيد محمد افندي الطرابلسي فوصف البستان بأوصاف (كتاب ليلة وليلة) منها قوله : « يخترقه ماء كأنما صب من دره . او ترقرق من عبره » . ثم سرد أسماء الأزهار والطيور التي في البستان متفننًا في وصفها وتشبيهها الى ان قال في صفة البستان « أصايله متوافقة مع أسحاره . وشمسه لا ترى الا من خلال أشجاره . وقد أحدق به ماء يتدفق . وهو عن مثل المسك يتفتق » . ولا نعلم كيف كان الماء كثيراً في ذلك البستان وعهدنا

بحلب انها قليلة المياه · ثم ذكر ان (محمدافندي) تلقاهم وأجلسهم (على جانب ذلك النهر الرائق) ثم خاضوا في الشعر والأدب وأنشد أحدهم قول (البديعي) : (افدى الذي دخل الحمام متزراً)·· البيتين· وتذاكروا في سبب دق الطاسات والنحاس عند خسوف القمر فذكر المؤلف ان السبب هو نصير الدين الطوسي لما أعلم هولاكو بالخسوف ونام هولاكو فحرض الطوسي الناس على دق الطاسات كي يخاف الحوت و يلفظ القمر من فيه وهكذا انتبه هولاكو وشاهد بعينه صحة قول الفيلسوف · ثم روى حكاية (العمري[1]) شيخ أدباء دمشق في ذلك العصر · وخلاصتها : ان العمري كان في (بيت قهوة) بدمشق ومعه صديق فدنا منهما غلام حسن الوجه واذا شخص هيولي الشكل غليظ الطبع حال بينهما وبين الغلام فقال صديق العمري (هذا خسوف عسى الله ان يؤذن بزواله) ولحوا رأس ذلك الشخص فاذا هوأقرع كأنه طاسة فقال العمري الآن تم التخييل واخذ القلم وكتب على البديهة :

(حبس البدر أقرع عن عيوني فغدا الطرف خاسئاً مطروفا)
(فتناولت رأسه لصفاع بنعالي وصنت عنه الكفوفا)
(قال لي اللائمون كف فادي ــ ت دعوني واقصروا التعنيفا)
(عادة البدر ينجلي ليلة الخ ــ سف بدق الطساس دقاً عنيفا)
(وتراءيت رأسه طاسة فجما ــ ت الصفع دقاً فكان عذراً لطيفا)

ثم انتقل المؤلف الى حديث آخر من أحاديث الأدب والشعر وكان في مجلسهم (السيد احمد الحياني) وقد أثنى عليه المؤلف ثناء عظيماً وذكر من مزاياه حسن الصوت وقال فيه انه « سيد لو لم يكن على رأسه من القبول أعلام · لما اختاره طراز الوزراء الكرام امام » · فيفهم من هذا ان الحياني كان إماماً يصلي بوزير حلب في ذلك العهد · وان وزيرها هو (سليمان باشا) لان المؤلف ذكره وأثنى عليه ثناء طويلاً وقال ان هذا الوزير سأل عن آية (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصناً) فان مفهومها انهن ان لم يردن التحصن فلموليهن ان يكرهوهن على البغاء · وقد أجاب

---

(١) راجع ترجمته في سلك الدرر (جزء ٢ ص ١٥١) ·

المؤلف عن هذا بلا وسعه المقام - وبينا هو كذلك اذ سمعوا ضوضاء شديدة وكانوا كلما أرسلوا احداً يأتي لهم بخبر هذه الجلبة تسلل لواذا ولم يرجع اليهم ثم انتدب السيد احمد الحياني وعاد ولم يفصح عن الخبر وانما كان بجمجم وفي آخر الامر قال ان (بشيراً) عبد المؤلف وقع في الغدير وكاد يغرق ثم خرج وفر هارباً كأنه خاف من سيده ثم أحضر مكشوف الرأس حافي القدمين واخبر انه أراد الوضوء فزلت قدمه فسقط في الغدير ثم خرج منه الى حيث يريد تبديل ثيابه لكنه لم يكد يمر بباب حلب حتى أحدق به الناس وتقدم اليه رجل فصفعه على عنقه ولطمه على فمه وقال له « الى اين ايها العبد الآبق · هل انت زنديق او سارق ؟ » · فذكر لهم قصته فلم يصدقوه وجعلوا يضربونه ثم وضعوا في رجله قيداً من حديد حتى اسعفه الله بالسيد عبداللطيف فانه لما رآه عرفه وقال له « ما دهاك · ومن بشر هذا القلفجي رماك » · ولعل صوابه (الفلقجي) اي صاحب الفلق و يفهم ان للشرط يومئذ فلقة كانوا يضعونها في رجل من يريدون تعذيبه · وعبد اللطيف هذا هو في الغالب السيد عبد اللطيف الكيلاني الذي أقام لهم حفلة (الوردية) في داره كما سبق ولما عرف بقصة العبد امر بفك وثاقه وجاء به الى سيده الادهمي ضيف حلب وشفع الحاضرون بالعبد لديه فعفا عنه · وأنشدهم قصيدة السراج الوراق والشهاب محمود في عبديها · ثم ذهبوا الى (الميلوية) وهي تكية دراويش المولوية المشهورة في حلب لا سيما في هذه الايام وفي نسخة الرحلة يسمى المولوية هكذا (الحيلوية) ولا ريب ان الحاء محرفة عن الميم فصوابها (الميلوية) والميلوية هي (المولوية) كما ينطق بها أهل طرابلس الى اليوم · ومن جملة ماوصف به دار المولوية قوله « في وسطها بركة ماء كبيرة ··· وصعدنا لمكان مزخرف بالوان الأطلية والشيد فيه الغرف الرفيعة ذات التزبين · والمقاصير التي تليق بالحور العين · وقد أطلت شبابيكه على تلك الارجاء والجداول المتدفقة وأشجار السرو » · واستقبلهم رئيس التكية (داده الشيخ ابو بكر الدرويش حسين) و (داده) كلمة تركية مازالت تطلق على شيوخ المولوية الى اليوم · ثم وصف الداده المذكور ومما قال فيه « وحسبك بامرىء لم تر له ذاماً ولا شانياً · ولا ذاكراً يعلم ان له في كرم الاخلاق ثانيا » ثم صلوا في الجامع والسياق يقتضي انه جامع التكية وعادوا من الصلاة الى مكان في التكية مطل على الشهباء و بساتينها

وفضوا بالرئاسة لهذا المكان على سائر ما في حلب من المتنزهات وناموا في التكية ورجعوا في الصباح الى دارهم وتذاكروا في بيت المعري :

(و بوشع رد يوحا بعض يوم وانت متى سفرت رددت يوحا)

و (يوحا) معناها الشمس ولكن هل هي بالياء المثناة او بالباء الموحدة وقد اختلفوا في ذلك وروي عن المعري وهو في بغداد ان بعض فضلائها احتج عليه بكتاب الالفاظ ليعقوب فأجابه المعري « هذه نسخ محدثة غيرها شيوخكم ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ العتيقة » فأخرجوها فوجدوا (يوحا) مقيدة كما قال . وشعر المعري من قبيل النوع البديعي المسمى (التمليح) وقد أفاض القوم في ذكر الشواهد عليه من أقوال الشعراء . وجرى ذكر مقامات الحريري فاقترح بعض الحاضرين على المؤلف ان يحذو حذوه في وضع مقامة قال « فقلت حكى الفكر الفاتر . عما خلج في الضمائر ...الخ » وهذا يدل على انه ارتجل مقامته في المجلس وبلغت المقامة نحو ثلاث صفحات ضمنها مسألة نحوية وبعد إتمام المقامة عاد المؤلف ففسر الكلمات اللغوية التي وردت فيها ثم انهم ذهبوا الى ضيافة (السيد امين شارخ) وقال انه كان يلازمهم (شاب ظريف يسمى عبد اللطيف) حسن الصوت رخيمه متفنن في الإنشاد فكان يطربهم من وقت الى آخر . ثم دعاهم الى داره (السيد محمد افندي الطرابلسي) فذهبوا اليه فلم يجدوه وانما وجدوا ابنه الذي ناب عنه واعتذر بان قد جاء اباه (نجاب من حضرة الملا) يدعوه اليه فتعلل واعتذر عن الذهاب فلم يقبل عذره ثم اكل القوم وقضوا ليلتهم هناك . و كتب المؤلف كتاباً نظماً ونثراً وتركه لصاحب الدار وغادرها الى داره . ثم ضفوا للمؤلف (بيت عبد السلام افندي) ومحاسنه العجيبة فذهبوا اليه . فرأوا رب الدار واقفاً في الباب فأخبروه خبر ضيف حلب الكريم فرحب بهم ودخل أمامهم ثم وصف المؤلف تلك الدار وصفاً مسهباً من ذلك قوله « واقع في صدر تلك الدار ايوان . أخبرت أرباب المعارف انه على طراز ايوان كسرى انو شروان . وتجاهه بركة عشرون مضروبة بمثلها فوق تلك البركة مقعد صغير عديم النظير ونسج في البركة أصناف من الطيور . وحول البركة جنينات . كأنها اختلست من الجنات » . ثم قال ان صاحب الدار أعرض عن حديثهم اولاً ثم ما زالوا به حتى مال اليهم واستدرك ما فرط منه

(وامر بالتطلي والشربات) ولام اخوانه الذين لم يعرفوه بمقام الضيف قال «ملما قضينا من امكان حظنا الموفور · أردنا القيام فخلف وجاب لنا القمقم والبخور · فتطيبنا وتبخرنا · وعلى صنيع معروفه شكرنا » · وقول المؤلف (جاب لنا) بدل على مبلغ تساهله في استعمال الكلام الدارج على ألسنة العامة · ثم وصفوا للمؤلف جامعاً ليس في الشهباء جامع يحاكيه وهو جامع « صاحب الجاه والدستور · ومدبر امور الجمهور · الحاج عثمان باشا [1] ··· فهو الذي بحسن هذا الجامع انفرد · ولم يسبقه الى شكله احد » ثم دعا له بما يشعر انه مازال حياً · ومما وصف به ذلك الجامع قوله « لاحت لنا منارته تنجلي · كأنها عروس بانواع الزينة تحلى · قد حاكت بعلوها الاهرام الكبير ··· توجت بتاج أخضر ··· وفوق التاج · هلال محلى بالذهب الوهاج · اذا ألقت الشمس شعاعها عليه تكاد تراه من مسيرة يوم ··· نزلنا الى وسطه فرأينا بسائر جهاته مقاصير برسم الطلبة ولهم تعيين وفي وسطه بركة · عشر في عشر · تجري ليلاً ونهاراً » · هذا ما قاله المؤلف في صفة الجامع وقد تكرر في وصفه بساتين حلب ودورها ذكر جريان المياه المتدفقة فيها وعهدنا بحلب انها محرومة نعمة المياه فما هو تأويل كلامه يا ترى ؟ وقال المؤلف انهم (لما خرجوا من الجامع رأوا بجنبه بيتاً [2] لانواع المحاسن جامع) فسرهم حسن منظره وعلموا ان بانيه هو باني الجامع (يعني الحاج عثمان باشا) وقد استدلوا بحسن البناية على علو همة الباني وتشوفوا للوقوف على حقيقته وعزموا على العودة اليه للفرجة عليه · ثم ان (حضرة مصطفى اغا ابن هيكل) دعاهم الى القلعة وان يصلوا صلاة الجمعة فيها و يزوروا مكان ابراهيم الخليل فوعدوه بذلك وزاروا (الميلوية) مرة ثانية (بقصد التفرج على مافيها من الخلوات فرأوا خلوة مزخرفة طيقانها وأبوابها) وعلموا ان ساكنها « رئيس اللطفا الدرويش ابراهيم ··· وانه من الكتاب · اولي الفصاحة والظرافة الانجاب ··· فلما دخلت خلوته الانيقة التي لحسنها كأنها حديقة

(١) عثمان باشا هذا هو المشهور بالدرركي الحلبي راجع ترجمته ووصف جامعه وكيفية بنائه له في المرادي (جزء ٣ ص ١٥١) · (٢) لعل هذا البيت هو المطبخ المسمى بالعمارة كما يفهم من المرادي ·

تأملته فعرفته الخ »· واذا هو صديقه فاعتذر الدرويش اليه بعدم علمه خبر قدومه ثم ذهبوا الى القلعة فوصف علوها وخندقها ومصاطبها التي بين الابواب فاستراحوا ثمه· ثم صعدوا فقابلهم رب الضيافة الى وسط الدار فجلسوا وقد ابتلت ثيابهم من العرق وتغدوا وبعده أُديرت القهوة والشربات والبخور والطيب وصلوا في جامع القلعة وخطيبه معرفة بالانغام ثم طلعوا الى سور القلعة وصحبوا معهم القهوة وبعض الحلويات وأشرفوا على حلب قال « فصرنا نشاهدها بساحة الافهام · فرأيناها تساوي مصر ذات الاهرام » ثم مدح حلب وانها مباركة من زمن ابراهيم الخليل ومدح أهلها وانهم أمراء الفصاحة من عهد أمراء بني حمدان وكان معهم في مشاهدة القلعة « رجل له شغف بجمع الدرهم والدينار اسمه امين · وهو بالبذل ضنين » · فارتجل المؤلف بيتين تعريضاً به وبحرصه على المال ثم نزلوا فزاروا المكان الذي كان يحلب فيه ابراهيم بقرته الشهباء ! فدعوا وتبركوا ثم خرجوا من القلعة الى دارهم وهناك جرت مذاكرات ادبية نضرب عن ذكرها صفحاً ومنها قول جميل :

(بثينة تزري بالغزالة في الضحى ـ كأن اباها الظبي او أمها المها)

قال المؤلف « ولهذا البيت حكاية لطيفة أوردتها في شرحي على القصيدة المقرية » ويعني بالقصيدة المقرية قصيدة الشيخ (المقري) التي مطلعها :

(سبحان من قسم الحظ ـ وظ فلاعتاب ولاملامه)

واسم شرحه عليها (الكواكب السنية شرح القصيدة المقرية) قال المرادي انه شرح حسن مفيد يدل على فضل المؤلف ·

وكان الجلوس يسألونه عن أبيات شعرية فيها غموض من حيث اللغة اوالمعنى فكان يجيبهم عليها ويكشف الغموض عنها ويورد ما قاله العلماء فيها عدا أبيات شعرية كانت تعرض عليه فيشطرها تارة ويخمسها طوراً · ثم ختم المؤلف رحلته بذكر أشهر مشاهير حلب الذين اجتمع بهم فجعلهم فريقين : الفريق الاول رجال العلم والأدب والفريق الثاني رجال المناصب والرتب وهم الذين أصبحوا يسمون (الافندية) او (العلماء الرسميين) أحياناً وقد اتى على وصف الفريقين وتراجم أحوالهم ولمز بعضهم معرضاً او مصرحاً بعيوبه ·

« الفريق الاول »

(١) الشيخ قاسم الشهير بالبكرجي صاحب البديعية المشهورة (راجع ترجمته في المرادي ج٤ ص١٠) .

(٢) الشيخ قاسم بن الشيخ محمد النجار (جزء ٤ ص١٣) .

(٣) السيد علي العطار سبط الكيلاني (جزء ٣ ص ٢٠١) .

(٤) الشيخ طه الجبريني ابن مهنا (جزء ٢ ص ٢١٩) .

(٥) الشيخ علي الدباغ وقد لمزه بالطمع وقال فيه (له معرفة باسماء الكتب بلا خلاف . حتى يتراءى بأنه لمعرفته بها صحاف) . (ترجمته في جزء ٣ ص٢٣٣) .

(٦) الشيخ عبد الكريم الشراباتي (جزء ٣ ص ٦٣) .

(٧) الشيخ محمد الزمار (جزء ٤ ص ١٢٣) .

« الفريق الثاني »

قال « واما من اجتمعت عليه من أبناء حلب . من أرباب البايات والرتب . فنبذة أخيار . قد رفلوا بثياب العز والفخار » . فمنهم :

(١) السيد يوسف افندي الدمشقي المفتي بالشهباء . وقال المؤلف انه تردد بين ان يعده في الفريق الاول (العلماء) اوالثاني (أرباب البايات) ولذلك جعله بين الفريقين ثم لمزه قائلاً « اما وصفه باثبات أدلة . فلسان الحال ينادي بانه حجة المعتزلة ... قد طعن في العمر وأسن . ولم يخلع عن المجون من رأسه الرسن » . ثم ذكر انه كما أراد مناظرته والبحث معه « ضرب سداً عن هذا المرام . بفضول الهزل والكلام » . ولكن المرادي ترجم السيد يوسف هذا في جزء ٤ ص ٢٦١ ترجمة حسنة ونقل للمحبي في ذيل نفحته مدحاً جميلاً فيه .

(٢) احمد افندي طه زاده نقيب الاشراف .

(٣) السيد محمد افندي ابو الجود الكواكبي النقيب السابق .

(٤) ابن عمه احمد افندي ابن المرحوم ابو السعود افندي الكواكبي . ويظهر من وصفه له انه كان في ذلك العهد شاباً طالباً فقد قال فيه « أفرغ الله ذاته في قالب الحسن فكان نوراً مصوراً . وأطلع غصن كماله في دوحة الحسن يانعاً منوراً . له وجه

يخجل البدر عند شروقه · ورقة كلام يشربها سمع الحاضر فتسري كنشوة الخمر في عروقه ····· قد تعلق بذيل الأدب · وأطلق عنان الطلب ··· فأحرز قصبات السبق في ذلك المضمار · وزاحم منا كب المجتهدين · فساوى من طلب في ذلك أعواماً وسنين » ·

(٥) خاتمة الصالحين الابرار الشيخ احمدالبنان · صاحب العلوم الالهية والاتقان) · ووصفه بالولاية وانه هو صاحب الوقت في تلك الديار · قال « ومرت الى دكانه تجاه الخسرفية (الخسروية) ···· ثم بأثناء المذاكرة والملاطفة · أخبرني ببعض امور على طريق المكاشفة » · عندها تيقن المؤلف (انه من أولياء الله الصالحين) · ولم يترجم المرادي لواحد من هؤلاء الاربعة ·

وذكر المؤلف انه طاف على الأولياء الذين في اللحود فعدّ منهم (سيدي غوث) و (سيدي عبدالله الذهبي) و (الشيخ ابوبكر) وبعد مضي احد عشر يوماً في حلب عزم على الرجوع الى بلده طرابلس الشام فمكث اياماً ثم يرحل الى (دمشق الشام) · وعاد في الحافرة التي جاء منها : خان طومان فقرية القناطر فإدلب ونزلوا فيها في (مصبنة النداف) ومعهم كتاب بعزله عن بيانه المصبنة من صاحبها (احمدافندي بن طه افندي) نقيب أشراف حلب فأرسلوا الكتاب الى نقيب أشراف إدلب فعزله بالطبع ثم زاروا في إدلب (الكامل الكبير) ولعله والد مفتيها الذي لم تتح لهم رؤيته في مرورهم بها اولاً وقلنا انه ربما كان من أسرة الكيال التي كادت تحتكر الولاية في تلك الديار وهاتيك الأعصار · وقد قال في صفته « وجدناه كعبة الهداية · غارق في بحور الولاية ··· نفعنا الله ببركاته · ومتع أهل إدلب بطول حياته » · و يرحوا ادلب فنشبوا في أوعار الطرق ومضايق الجبال وعقابها قال « وللقطعنا صعابها ···· اخذت دابتي الخشوع · فهوت الى الارض فنزلت ناوياً السجود والركوع · فرضّ كتفي وجنبي · واحتسبت مصابي عند ربي » · حقاً ان كل مسافر يخترق الطريق اليوم على السيارة بين حلب وبيروت يجدر به ان يذكر المؤلف الأدهمي ويقرأ الفاتحة عن روحه الطيبة · ثم وصلوا الى (جسر الشغر) فصلوا الظهر في جامعها (واذا رجل من الشافعية يقرأ للناس تفسير الخطيب) فدلف اليهم وعرض الضيافة عليهم فاعتذروا ثم وصلوا الى اللاذقية فنزلوا عند

(إحمدجلبي الزيادي) وعزمهم ابن مفتي اللاذقية الشيخ عبدالرحمن افندي الذي مر ذكره قال « فوجدناعنده في الدار · رجلاً من أولياءالله الأخيار ··· وأجازنا بإذكار ··· وقال : ان وقعتم في ضيق فنادوني · فانكم ان شاء الله في كل وقت تجدوني ··· » ! ! ثم بلغوا جبلة فطرطوس ثم طرابلس الشام فدعاهم الى الزاوية (الحاج علي العكاري) فأضافهم في (بستان الجور) يومين · وأسرة العكاري من أشهر الأسر الطرابلسية كانت أسرة علم ثم تجارة وما زالت الى اليوم معروفة في طرابلس · قال وأضافهم (الحاج ابراهيم بن علي باشه) وكلمة (باشه) تكتب أحياناً (بشه) ونراها كثيراً في الصكوك والوثائق الطرابلسية القديمة وهي لقب تكريم لكنها دون الألقاب الاخرى وفهمت من بعض المعاجم التركية ان (بشه) و (باشا) كلتاهما تركيتا الاصل لكن الاولى تكتب بباء موحدة النقطة ومعناها (السيد والمولى) والثانية تكتب بباء ذات ثلاث نقط ومعناها (الوالي والوزير) وهي التي مازالت حية شائعة بيننا · اما الاولى فقط ماتت · ثم ان المؤلف ذكر ان صديقه (الشيخ مصطفى التقيمي) أقام في داره مريضاً سبعة عشر يوماً ثم غادر الدار من دون ان يعلمه ناقماً زارياً فعتب المؤلف عليه وانه لم يراع حقوق الصحبة وسمع كلام أعدائه فيه · وهكذا انتهت رحلة المؤلف الى حلب ثم غادر طرابلس الى (دمشق الشام) وسنأتي على وصف رحلته اليها في جزء آخر من هذه المجلة ·

المغربي

قانون البلاغة

— ٥ —

فلما أفضى الشعر الى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف ، فكلفوا الاحتذاء عليها ، وسموها البديع فمن محسن ومسيء ، ومفرط ومقتصد ، وهو يتقسم اقساماً ويتشعب شعباً .

فمنها الطباق ، التجنيس ، الاستعارة ، المقابلة ، الارداف ، الموازنة ، المساواة ، الوحي والإشارة ، التذييل ، المبالغة ، الغلو ، الايغال ، التسهيم ، رد الكلام على صدره ، صحة التقسيم ، المماثلة ، الترصيع ، التكميل ، التكافؤ ، السلب والايجاب ، العكس والتبديل ، الكناية والتعريض ، الالتفات ، الاستدراك والرجوع ، التذييل ، الاستطراد ، التكرار ، الاستثناء ، التصحيف ، براعة الاستهلال ، براعة التخلص ، الترديد ، التتميم ، جمع المؤتلف والمختلف في بيت او بيتين ، المذهب الكلامي ، التفويف ، التفريع ، التسميط ، التصريع ، التضمين ، القسم ، الاعنات ، تجاهل العارف[1] ، هزل يراد به الجد .

فاما الطباق فهو ان يأتي الشاعر بالمعنى وضده ، اوما يقوم مقام الضد فيحسن جداً ، وله شعب خفية ، وشعاب غامضة ، وربما التبست به أشباه لا تبين الا للنظر الصائب والذهن الثاقب ، ومن اشهر أقسامه ما جرى مجرى قول زهير :

(ليث بعثر[2] يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا)

وقال جرير :

(وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماليا)

وقول طفيل :

(يصان وهو ليوم الروع مبذول)

---

(١) في الحاشية وسماه صاحب المفتاح « سوق المعلوم الى غير المعلوم » .

(٢) عثر كبقم مأسدة باليمن وقيل جبل بتبالة به مأسدة .

وقول دعبل :

(لا تعجبي يا سلمُ من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى)

وقول الآخر :

(خميص من التقوى بطين من الخمر)

وقد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي كقول البحتري :

(يقيّض لي من حيث لا اعلم النوى ويسري اليّ الشوق من حيث أعلم)

لما كان قوله لا اعلم كقوله اجهل ، وكان اجهل مطابقه ، كان الآخر بمثابته .

ومن أغرب الناظه والطف ماوجد فيه قول ابو تمام الطائي :

(مها الوحش الا ان هاتا اوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل)

فطابق بهاتا وتلك ، واحدهما للحاضر والآخر للغائب ، فكانا نقيضين في المعنى ، وبمنزلة الضدين . وسبيل الشاعر ان يتبع فيه التقابل ، وان لا يجيء باسم مع فعل ، ولا بفعل مع اسم ، فان ذلك اذهب في الصنعة ، واسلم في البنية .

واما التجنيس (١) فهو ان يأتي الشاعر بلفظتين في البيت احداهما مشتقة من الاخرى يسمونه المطابق ، وهو اشبر أوصافه ، واكبر أصنافه ، نحو قول امرئ القيس :

(لقد طمح الطماحُ من بعد ارضه ليُلبِسَني من دائه ما تلبسا)

وقول الاعشى : وليل ابي ليلى امرٌ وأعلق

وقول زهير : كأن عيني وقد سال السليل بهم

وقول القطامي : مستحقبين فؤاداً ماله فاد

وقول الشنفرى : بريحانة ريحت عشاراً وطلّت

وقول رؤبة : أحضرتَ اهل حضرموتَ موتَا

فجانس في موضعين في بيت رجز ، وقول جرير :

(١) وجد في هامش الاصل ما يلي : «سمى هذا وأخواته من الأمثلة اشتقاقاً لا تجنيساً والتجنيس أنواعه ثلاث عشرة وهي مرتبة في كتابي الموسوم بدرة التبيان في علمي المعاني والبيان» .

(فما زال معقولاً عقال عن الندى   وما زال محبوساً عن المجد حابس)

وقد يكون منه التجنيس المستوفي كقول ابي تمام :

(ما مات من كرم الزمان فانه   يحيى لدى يحيى بن عبد الله) .

فجانس يحيي ويحيى لاختلاف المعنيين لان احدهما فعل والآخر اسم ولو اتفق المعنيان لم يعد تجنيساً . وكقول بشار :

(واني للثغر المخوف لكالئ   وللثغر يجري ظلمه لرشوف »

ومنه التجنيس الناقص كقول الأخنس بن شهاب :

(وحامي لواء قد قتلنا وحامل   لواء منعنا والسيوف شوارع[1])

وقول ابن مقبل :

(يمشين مشي النقا مالت جوانبه   ينهال حيناً وينهاه الثرى حينا[2])

وقول ابي تمام :

(يمدون من ايدٍ عواصٍ عواصم   تصول بأسياف قواضٍ قواضب[3])

وقول البحتري :

(هل لما فات من تلاقٍ تلاف   ام لشاك من الصبابة شاف)

ومنه التجنيس المضاف كقول البحتري :

(أيا قمر التمام اعنت ظلما   عليّ تطاول الليل التمام)

فجانس بقمر التمام وليل التمام ، وكل واحد منهما موافق للآخر في المعنى ، ولكن احدهما صار مقترناً بالقمر والآخر بالليل ، وكانا كالمختلفين .

والتجنيس يزيد في رونق الشعر ، ويحلي عاطل معانيه ، وهو عنوان الفصاحة ، وشاهد الاتساع في اللغة ، ودليل على توقد الذكاء ، وجودة الذهن ، ومسابقة الخاطر .

واما الاستعارة فهي نقل الكلمة عن شيء قد وضعت له الى شيء لم توضع له .

---

(١) في الاصل : ليس هذا التجنيس الناقص بل هو التجنيس المطرّف .

(٢) في الاصل : هذا تجنيس ناقص فانه كالتام الا في الاعراب .

(٣) في الاصل : ما هو التجنيس الناقص بل هو التجنيس الزائد .

ولا تكون الاستعارة واقعة حتى تكون اللفظة المستعارة في الموضع الذي استعيرت له أبلغ من الحقيقة ·

واستعارات الشعراء جمة ، ومحاسنهم فيها كثيرة ، ومذاهب المحدثين فيها خاصة طريفة ، فمنها قول زهير : وعُرّي أفراس الصبا ورواحله

وقول لبيد : إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

وقول ابن الطثرية :

(أخذنا باطراف الاحاديث بيننا وسالت باعناق المطي الأباطح)

وقول جرير :

(تحيي الروامس ربعها فتجدّه بعد البلى وتميته الأمطار)

وهذا البيت يجمع لطف الاستعارة ، وشرف الطباق ، لانه جاء فيه بالاحياء والاماتة ، والجدة والبلى · يستحسن من الاشعار مثل قول ابي حيّة :

(وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء بها نجم ولا قمرُ)

واما المقابلة فهي ان يضع الشاعر معاني يريد التوفيق بينها ، فيأتي في الموافق بما يوافق ، وفي المخالف بما يخالف على الصحة ، او يشترط شروطاً في أحد المعنيين ، فيأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه ، وفيما يخالفه باضداد ذلك ، كقول الجعدي :

(فتى كان فيه ما يسرّ صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا)

وقول تأبط شرّا :

(اهزّ به في ندوة الحيّ عطفه كما هزّ عطفي بالهجان الاوارك)

وكقول آخر :

(ايا عجبًا كيف اتفقنا فناصحٌ وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادر)

فجعل بإزاء ناصح مطوياً على الغلّ وبإزاء وفيّ غادراً · وقد ذهب بعض الناس على ان هذا طباق ، وليس هذا كما ذهب اليه ، وان كان مناسباً له ، واما الإرداف وفي الهامش ويمسى تتبيعًا فهو ان يريد الشاعر دلالة على معنىً فلا يأتي باللفظ الدال عليه بل بلفظ هو تابع له وردف كقوله :

(بعيدة مهوى القرط اما لنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم)

وانما أراد ان يصف طول جيدها فأتى بردفه ، وهو بعد مهوى القرط

وكقول امرئ القيس :

(ويضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل)

انما أراد ان يذكر ترفة[1] هذه المرأة ، وان لها من يكفيها ، فلم يذكر ذلك وعدل الى ذكر فتيت المسك الذي يدل على انها منعمة ، وانها في خفض من العيش وترفه ، وقد يسمى التتبيع ايضاً ٠

واما الموازنة فهي ان تكون الالفاظ متعادلة الأوزان ، متوالية الاجزاء ، كقول امرئ القيس : (سليم الشظى[2] عبل الشوا[3] شنج النسا[4])

وقول ابي داود :

(بعيد مطى[5] الطرف خاظي البضيع[6] ممر المطا سمهري العصب[7])

واما المساواة فهي ان يكون اللفظ مساوياً للمعنى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقول زهير :

(ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم)

وكقوله :

(فلو شاء قومي كان حلمي فيهم وكان على جهال اعدائهم جهلي)

وكقول الآخر :

(اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا أصبت حليماً او أصابك جاهل)

ومساواة اللفظ بالمعنى هو الامر المتوسط بين الايجاز والاسهاب ٠

---

(١) الترفة بضم التاء كغرفة النعمة ٠ (٢) الشظى عُظيم مستدق لازق بالوظيف اي عظم الساق ٠ (٣) ما كان غير مقتل من الاعضاء والعبل الغليظ ٠ (٤) يقال فرس شنج النسا منقلصه وهو مدح له لانه اذا تقبض نساه وشنج لم تسترخ رجلاه ٠ (٥) في هامش الاصل : هذا البيت لا مدخل له بتاتاً في صنعة الموازنة الا في قوله « بعيد مطى وممر المطا » والباقي لا بعد من التوازن ٠ (٦) خاظي البضيع ممتلئ اللحم ٠ والمطى المدى ٠ (٧) المطى حبل الظهر وامرّ الحبل فتله فتلاً شديداً فهو ممرّ ٠ وعصب سمهري شديد الفتل ٠

واما الاشارة فهي اشتمال اللفظ القليل على المعاني الكثيرة كاللمحة الدالة على المراد ، كقول امرئ القيس :

(فظل لنا يوم لذيذ بنعمة فقل في مقيل نحسه متغيّب)

وكقوله : (على هيكل يعطيك قبل سؤاله افانين جري غير كزّ ولا واني)

فقد جمع بين قوله افانين جري ما لو عدّ لتطاول اللفظ به ، وجمع بقوله قبل سؤاله أوصاف العتق والجودة في هذا الفرس ، ويريد انه يذهب في الافانين طوعاً من غير حث · في قوله غير كزّ ولا واني : نفى عنه ان يكون معه الكزازة من قبل الجماح والمنازعة ، والونى من قبل الاسترخاء والفترة · وكقول الآخر :

(هاج ذا القلب من تذكر جمل ما يهيج المتيم المحزونا)

فقد أشار بقوله ما يهيج المتيم المحزونا الى ضروب من أوصاف المتيم يتسع فيها نطاق الكلام وتفسح معها مسارب الظلام ·

واما المبالغة فهي ان تذكر معنى ما لو اقتصر عليه لكان كافياً فيما قصد له ، فلا يقتصر على ذلك حتى يؤكد معانيه ، ويعتمد المبالغة فيه كقوله :

(ونكرم جارنا مادام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا)

فإكرامهم الجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ، واتباعهم إياه بالكرامة حيث كان من المبالغة في الجميل · وكقول الخضري :

(وأقبح من قرد وأبخل بالقرى من الكلب امسى وهو غرثان اعجف)

فقد كان يجزئ في الذم ان يكون هذا المهجوّ أبخل من الكلب ، فلم يرض حتى يكون غرثان أعجف · وكقول الآخر :

(وانا لنعطي النصف منا واننا لنأخذه من كل أبلخ[1] ظالم)

فالتوكيد في قوله واننا لنأخذه ثم قال : من كل أبلخ ثم قال : ظالم فهذه مبالغات مضاعفة مكررة ·

واما الغلو فكقول قيس بن الخطيم :

---

(١) متكبر ·

(طعنتُ بن عبد القيس طعنة ثائر   لها نفذ لولا الشعاع أضاءها)
(ملكت بها كفي فانهرت فتقها   يرى قائم من دونها ما وراءها)
وبلغني ان شعبة بن الحجاج قال لما أنشد البيتين هذا لم يطعنه انما فتح در بان[1] .

وكقول النمر بن تولب العكلي :
(أبقى الحوادث والايام من نمر   أسباد سيف قديم أثره بادي)
(فظل يحفر[3] عنه ان ضربت به   بعد الذراعين والساقين والهادي)

وكقول ابي نواس :
(توهمتها في كأسها فكأنما   توهمت شيئاً ليس يدركه العقل)
(فما يرتقي التكييف منها الى مدى   يحدّ به الا ومن قبله قبل)

ومن الشعراء من يستثني عند الغلو أو يظهر[2] (يكاد) و (لولا) فيدرك مراده ويسلم من قبح الغلو وهجنة الافراط . مثل قول العرجي :
(ولهن بالبيت العتيق لُبانةٌ   والبيت يعرفهن لو يتكلّم)

واما الايغال فهو ان يوغل بالقافية في الوصف ويؤكد التشبيه بها ، والمعنى قد يستقل دونها ، وانما يأتي بها لحاجة الشعر في ان يكون شعراً اليها ، فيزيد معناها في تجويد ما ذكره ، فيبلغ في المعنى الى الغاية القصوى في الاحسان والجودة ، كقول امرىء القيس :
(كأن عيون الوحش حول خبائنا   وأرحلنا الجزع الذي لم يثقّب)
فقد اتى على التشبيه قبل القافية ، وذلك ان عيون الوحش اذا ماتت اشبهت الجزع ، ثم لما جاء بالقافية بلغ بالمعنى الأمد البعيد في التأكيد ، لان تشبيه عيون الوحش بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه ، واذا لم يثقب كان أحسن في صفائه ، واشدّ في ترقرق مائه وكقوله :
(اذا ما جرى شأوين وابتلّ عطفه   تقول هزيز الريح مرت بأثأب[4])

(١) اي دربند وهو الباب (فارسية) . (٢) لعل صوابه يحفز بالزاي المعجمة .
(٣) لعله يستظهر . (٤) الأثأب شجر ينبت في بطون الاودية في البادية الواحدة أثأبة .

فقد تم الوصف والتشبيه قبل القافية ، فلما اتى بالقافية زاد المعنى نصاعة وبراعة ، وذلك ان الأثأب شجر يكون للريح في أضعاف أغصانه حفيف شديد ، وقال زهير :

(كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب القنا[1] لم يحطم)

فقد اتى بالتشبيه قبل القافية ثم قال : لم يحطم لانه اذا حُطم كان داخله ابيض فلم يشبه العهن وهو الصوف الاحمر . وقال آخر :

(حملت ردينياً كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان)

فأكد بقوله لم يتصل بدخان .

واما التسهيم فهو ان يصوغ الشاعر ألفاظه مستوية الاقسام ، معتدلة النظام ، لا يزيد جزء على جزء تقتضي كل كلمة اختها ، وكل لفظة شكلها ، فاذا كان الشعر على هذه الصيغة سبق السامع الى قوافيه ، قبل ان ينتهي اليها راويه ، حتى لو سمع سامع الشطر الاول ، استخرج الشطر الآخر ، من غير ان يكون قد سمعه . كقول البحتري :

[illegible] (فاذا حاربوا أذلوا عزيزاً)

يقتضي ان يكون تمامه : (واذا سالموا أعزوا ذليلاً)

وكقوله :

(أحلت دمي من غير جرم وحرمت بلا سبب يوم اللقاء كلامي)

(فليس الذي حللته بمحلل)

يجب ان يكون تمامه : (وليس الذي حرمته بحرام)

« للبحث صلة »

---

(١) القنا بكسر القاف الكباسة وهو من النخل كالعنقود من العنب .

الوضع العربي

الوضع العام في اللغة إلقاء شيء على غيره ، ومعانيه الاصطلاحية كثيرة بحسب العلوم والصناعات . والوضع اللفظي أقسام :

(١) لغوي : وهو تخصيص اللفظ بالمعنى ابتداء بحيث يدل عليه من غير قرينة .

(٢) وشرعي : وهو استعمال الشارع لفظاً في معنى شرعي بينه وبين اللغوي مناسبة .

(٣) وعرفي خاص : وهو استعمال العلماء وارباب الصناعات الفاظاً في معان غير معانيها الاصلية اللغوية لمناسبة بينهما .

(٤) وعرفي عام : وهو توسيع عامة الناس في استعمال الفاظ في معان بينها وبين معانيها اللغوية مناسبة كاستعمال الدابة في ذوات الاربع .

ونقصد الآن الى بيان الوضع اللغوي الابتدائي فنقول :

علمنا مما تقدم ان وضع اللغة لا يأتي جملة وعلى دفعة واحدة . بل يقتضي الوفاً من السنين تتكاثر فيها الالفاظ وتتزايد حروفها - ويتولد بعضها من بعض . وتتميز اساليب استعمالها بتركيبها مع غيرها . ولكل من الوضع الافرادي والتركيبي بحث يخصه .

« الوضع الافرادي ومراتبه »

الوضع الافرادي (اي تأليف اللفظ المفرد من حروف تؤدي معنى مقصوداً) له مراتب يتدرج فيها حتى يصل الى غاية الكمال او يقارب .

« المرتبة الاولى »

ان مرتبة الوضع الاولى هي مرتبة تألف الكلمة . إما من محاكاة الاصوات . وإما من الارتجال على حسب الالهام من الله واستعمال قوة النطق الموهوبة له . او التلقي عنه تعالى بوحي .

« محاكاة الأصوات »

زعم كثير من القائلين بتولد اكثر الفاظ اللغة من اصوات الحيوان ان اصل هذه الالفاظ أحادية الهجاء . اي انها ذات حرف واحد متحرك بحركة او ساكن متوصل

اليه بحركة · وقد كان يكون هذا الغرض وجيهاً لو ان جميع الالفاظ ساذجة أحادية النغم والجرس · فاما ونحن نسمع من الاصوات المتعدد النَّغَم والجرس · والمتصل · والمتقطع · كأصوات الطيور المفردة وقصف الرعود وضحك الانسان فلا مانع من فرض تألف اللفظ المحكي من اكثر من هجاء واحد · او هجاء متكرر على الاقل · كما يشاهد في بداية نطق الاطفال ·

ونشوء الالفاظ من محاكاة الاصوات خاضع لعدة نواميس فطرية في الانسان :

الاول : ان صوت الانسان مختلف عن اصوات غيره بحكم اختلاف مصدر صوته عن مصدر اصوات غيره : من الحنجرة والحلق والفم · فمحاكاته لها لا تكون مطابقة لها من كل وجه · وماتراه من محاكاة بعض المضحكين لعواء الكلب ونهيق الحمار · انما يكون بعد رياضة ومعاناة وتكلف على فروق دقيقة بينها يتميزها العارفون ·

الثاني : ان تمييز الاصوات بحاسة السمع الانساني يختلف باختلاف الاشخاص ويشتد الاختلاف باشتداد التشابه ودقة الفروق وينشأ من ذلك كثير من انواع التوهم الفطري في الانسان المفضي الى الخطإ في الحكم وسوء التفاهم ·

الثالث : ان القدرة على محاكاة المسموع المحقق بالنطق الانساني متفاوتة بتفاوت الاستعداد الفطري والانفعال العصبي وتركيب بعض آلات النطق كاللسان ووضع الفكين والاسنان · فأكثر الامم الآرية لا يستعمل الحروف الحلقية وكثير من الهمج لا ينطق الا ببضعة أحرف بحيث لايستطيع النطق بغيرها · ولو بذل في ترويضه كل جهد · واللثغة في الأطفال ناشئة من استعصاء آلات الصوت في بداية النطق · ثم تتقوى مطاوعتها بقوة التنبه فيهم واخذهم بالتثقيف والرياضة · واللثغة في الكبار ناشئة من عجز بعض آلات الصوت عن أداء وظيفتها لضعف في بعض أعصابها ·

الرابع : ان الانسان ميال بفطرته الى التساهل او التوسع فيما يصعب عليه · ولو كان في قدرته تذليله بالجد والتعب · فالاوربي ينطق العين همزة والحاء هاء او خاء والخاء كافاً مع استطاعته النطق بها بالرياضة والتمرين كما شاهدناه عند تعليمنا كثيراً منهم ·

الخامس : ان التساهل او التوسع في التعبير يختلف باختلاف الاشخاص والامم · فتساهل زيد غير تساهل عمرو · وتساهل الرومي في النطق ببعض الحروف العربية

غير تساهل الطليـاني · وتساهله غير تساهل الانجليزي · وبينا ينطق الزنجي بالخاء هاء اذ ينطق بها المالطي حاءً · وهكذا ·

السادس : ان التساهل اوالتوسع في النطق — او ما نسميه التحريف — يكون غالبًا في الحروف المتشابهة المخارج او المتقاربتها · كما يظهر بادنى تأمل عند تتبع تحريفات الأطفال والأعاجم ·

اذا عرفت هـذه النواميس وما تقتضيه سهل عليك معرفة اختلاف الناس في محاكاة المسموع بحروفهم التي يسهل عليهم النطق بها وذهابهم في تحريفها عن اصلها كل مذهب مما كان له أبين أثر في تنمية عدد الألفاظ · وخاصة المترادفة والمتقاربة المعاني وسهل عليك استنباط القانون اللغوي الكلي الذي وضعه علامتنا ابوالفتح بن جني وهو :

« الألفاظ المتصاقبة الحروف متصاقبة المعاني »

وبناء الكلمات من حكاية الاصوات تكون على أنواع :

فمنها ما يحاكي صوت الحيوان غير الانسان · ومنهـا ما يحاكي صوت الانسان · ومنها ما يحاكي الأصوات الناشئة من تفاعل قوى الطبيعة

فمن الألفاظ المحاكى بها صوت الحيوان « عواء الكلب » اصله هجاء العين متحركاً بحركة و « مواء الهر » اصله الميم متحركة و « خوار العجل » اصله الخاء متحركة و « صئي الفرخ » اصله الصاد محركة و « نهيق الحمار » اصله الهاء و « رغاء الإبل » اصله الراء او الغين و « زقاء الديك » اصله القاف و « نبيب التيس » اصله الباء مكررة و « خرخرة الهر » اصله الخـاء والراء مكررتين و « قطقطة القطاة » اصله القاف والطاء مكررتين و « طنين الذباب » اصله النون و « صرير الجندب » اصله الصاد والراء وغير ذلك مما لا يحصى في مثل هذه العجالة ·

ومن الفاظ الأحداث المحكي بهـا أصوات تفاعل الطبيعـة (مثل تلاقي جسمين بالتصادم والتقارع والاحتكاك او سقوط احدهما على الآخر او انفصال أجزاء جسم بآخر) الدق والصك والحك والهد والسد والقط والبح والمص والرش والشق وخرير الماء وحفيف الاشجار وهبوب الرياح وخفقتها وهلم جرًا ·

ومن الفاظ الذوات المنقولة عن حكاية الاصوات لصدورها عنها الانف والفم والشفة اصلها الفاء كما لا يخفى ومثلها الحلق والحلقوم والحنجرة اصلها الحاء زيد عليها بعض الحروف كما سنبينه فتبين ان جميع الالفاظ الآنفة أصلها حكاية أصوات بهجاء واحد متحرك او بهجاء ساكن توصل اليه بمتحرك قبله ثم زاد عليه حرف ٠

(١) اما بقصد مد الصوت كماء السنور وخار العجل ٠

(٢) واما بقصد تكريره وتقويته مثل خر الماء وبح الصوت وصر الجندب وهر الكلب وهد الحائط فترى ان الزيادة وقعت بتكرير الثاني لتكرير حدثه ٠

(٣) واما بالابدال والقلب لسوء السمع او سوء الحكاية او الميل الفطري الى التساهل والتوسع العام مثل (لط) اصل معناه اللزق واللطخ والستر حرف آخره حروف شتى في مثل لطأ ولطخ ولطم ولطس ولطن ومعانيها كلها متقاربة ثم بابدال حروفه ينشأ: لث ولثب الناقة في انفها طعنها ٠ ولتج بمعنى ضرب ولتخ ولتد ولكد ولتز ولتف ولتم ورطس ولطب وكلها متقاربة المعاني ٠

ومثل (قط) — الاصل في معناه «القطع» فأخذ منه للاسباب المتقدمة قطع وقطب وقص وقصم وقصل وكسر وقصب وقصر وقصف وقصا وقض وقضم وقضب وقصع وكسر وكسم وحذ وحذم وجذم وجذر وحذف الخ ٠

ومثل ذلك يقال في بقية الزوائد على هجاء او هجاءين لتكوين أبنية الكلم من ثلاثة احرف ٠ وهي اكثر مادة اللغة العربية ٠ ولقلة ما جاء من الرباعي الاصول والخماسي ونزارة ماورد من الثنائي رسخ في نظر العربي فرض اصالة الثلاثي دون غيره ٠ فتراه يزيد الثنائي حرفاً عند التصغير والنسب ٠

« الارتجال »

يزعم كثير من علماء اللغات ان كل الفاظ اللغات يمكن ردها الى محاكاة أصوات الحيوان ، فكأن الانسان الذي ميزه الله بالنطق والفكر في رأيهم أحط مرتبة من الحيوان الأعجم لا يمكنه ان ينطق بفطرته بأصوات يعبر بها عن مقاصده ٠ مع ان من الحيوان ما يتفاهم باكثر من عشرة أصوات ٠ ولا ينكر وقوع الارتجال في الانسان

الا مكابر . فان له علاوة على الأصوات الوجدانيـة الاضطرارية كالأنين والتأوه والتأفف والقهقهة الفاظاً لا يمكن إرجاعها الى محاكاة الأصوات الابتكف وتعـف فأحر بها ان تكون من الألفاظ المرتجلة أنطقه الله بهـا الذي أنطق كل شيء . واذا قسنا نشأة الانسان بقانون نشـأة الطفل كما يقررون وجدنا ان كثيراً من الاطفال ينطقون ببعض أهجية مرتجلة يدلون بها على مرادهم . قد يستعينون على تفهيمها غيرهم ببعض الإشارات او تقلص الجوارح او بسطهـا . وربما لا يستعينون . فتفهم عنهم بالتكرار فيألفها الطفل ويألفهـا مربوه . على اننا سمعنا كثيراً من الاطفال يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة .

و يرد المعارضون الارتجال بانه لو سلم به لكان كل فرد من الفصحاء بالفطرة اوبعضهم يرتجل كل يوم الفاظاً جديدة . مع اننا لم نر احداً من الناس يرتجل شيئاً الآن .

وجوابنا ان عدم الارتجال في الكبار من اصحاب اللغات الراقية ناشئ عن عدم الحاجة اليه لاستغنائهم بما يجدونه في لغتهم سادّاً لعوزهم . ولما يصادفونه فيها من قوانين الصوغ والبناء من الاشتقاق والنحت والتوسع بطرق المجاز والنقل من اللغات الاخرى . هذا الى ان تدوين اللغة في كتب ومعجمات . ووضع قواعد وضوابط لها يجعلها كالمجمع عليهـا . و يحمل المرء على الإحجام عن التزيد فيها . على انه قد روي ان بعض رُجّاز الاعراب ممن كانوا يفدون الامصار — عصر تدوين اللغة — كانوا يرتجلون بعض الكلمات ارتجالاً كرؤبة وابيه العجاج .

و يزيد المرء إحجاماً عن الإرتجال تقديسه لغته وتنزيهها عن الخلط فيها لانها لغة كتبه الدينية وثمة فريق من الملبين وغيرهم يرى ان أكثر الفاظ اللغة مرتجل ان لم يكن كلها كذلك .

ومن اشهر محدثيهم الفيلسوف « رينان » الفرنسي الشهير في كتابه « اللغات السامية » وحجته ان توليد الثلاثي من الثنائي او من الحرفين الاولين ثم توليد الرباعي من الثلاثي وهكذا لا يخلو من مواضعة واصطلاح . وصدورهما من الأناسيّ الاولين غير معقول لمكان بداوتهم وغرارتهم . و يرد قوله بان المواضعة والاصطلاح مفروضان حتى في الثنائي بل الأحادي . ولكن لا يعني ان الاقدمين كانوا يعقدون المحافل والمؤتمرات للاتفاق على كلمة كما تفعل المجامع اللغوية الآن . وانما كان القـائل ينطق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ن فكرة او قياس يراعيه في وضع الالفاظ فيسمعه منه غيره · و يفهم مراده بقرينة إشارة او خطاب · فاذا أنس الواضع منه الفهم كرره في المعنى الذي أراده فلا يلبث ان يفشو بين الناس و يصير من أوضاعهم · و يصطلحون على اليفاهم به من غير تعمل ولا قصد الى اتفاق عليه في مجمع او محفل ·

وقد زعم بعض العلماء ان ارتجال الالفاظ للدلالة على المعاني راجع الى طبائع الحروف المتألفة هي منها · فعنده ان كل حرف يرمز به الى معنى كلي يتفرع الى فروع يدور فيها هذا الحرف · وقد عقد ابن جني لذلك في كتابه « الخصائص » باباً شريفاً نذكر هنا قليلاً من الأمثلة التي ذكرها فيه قال :

« وذلك انهم يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها · وتقديم ما يضاهي اول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب ·

ومن ذلك قولهم شد الحبل · فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت اول انجذاب الحبل قبل استحكام الشد ، ثم يليها إحكام الشد والجذب ، فيعبر بالدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة ، فهي أقوى لصيغتها وأدل على المعنى الذي أريد بها · فاما الشدة في الامر فانها مستعارة من شد الحبل ·

ومن ذلك قولهم : جر الشيء يجره ، قدم الجيم لانه حرف شديد · واول الجر مشقة على الجار والمجرور جميعاً · ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع ذلك في نفسها وذلك ان الشيء اذا جر على الارض في غالب الامر اضطرب صاعداً عنها ونازلاً · وتكرر ذلك منه · على ما فيه من التعتعة والقلق · فكانت الراء لما فيها من التكرير ولانها ايضاً قد كررت في نفسها أوفق بها المعنى ·

وقال ايضاً « ومن طريف ما مر بي في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها · ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون · اذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير · فاكثر احوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما ·

ومن ذلك الدالف للشيء الضعيف والشيء التالف · واللطيف · والظليف · (المجان) — وليس له عصمة الثمين — والطنف · لما أشرف خارجاً من البناء (وهو

الى الضعف لانه ليس له قوة الراكب الاساس والاصل) والنطف · العيب وهو الى الضعف · والدنف المريض · ومنه التنوفة وذلك لان الفلاة الى الهلاك · الا تراهم يقولون لها مهلكة · وكذلك قالوا لها بيداء · وهي فعلاء من باد يبيد · ومنه الترفه لانها الى اللين والضعف · وعليه قالوا الطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه واوسطه قال الله سبحانه وتعالى : « أولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها » · وقال الطائي الكبير :

(كانت هي الوسط الممنوع فاستلبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طرفا)

ومنه الفرد · لان المنفرد الى الضعف والهلاك ما هو · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء كثير باخيه » والفارط : المتقدم · واذا تقدم انفرد · واذا انفرد هلك · الى ان قال : ومنه الفتور للضعف · والرفت للكسر والرديف لانه ليس له تمكن الاول · ومنه الطفل للصبي لضعفه · والطفل للرخص وهو ضد الشثن · والتفل للريح المكروهة · فهي منبوذة مطروحة · وينبغي ان تكون الدفلى من ذلك لضعفه عن صلابة النبع والسمراء والنشب والشوحط · وقالوا الدفر · للنتن · وقالوا للدنيا (ام دفر) سب لها · وتوضيع منها · ومنه الفلتة لضعفة الرأي · وفتل المغزل لانه تثن واستدارة · وذاك الى وهي وضعفة · والفطر · الشق وهو الى الوهن · فأنت ترى من هذه المثل · ومن مراجعة كتابه في هذا المبحث ان رأيه فيه مما تتقبله النفس بقبول حسن ، ولا تستبشعه الأذواق السليمة ، وهو وان لم يبلغ مبلغ الدليل فلا أقل من الأنسة به في التعليل اللغوي ·

عضو المجمع العلمي العربي

القاهرة : احمد الاسكندري

اعضاء المجمع العلمي في الغرب

الاستاذ سترستين السويدي

« ترجمة حياته بقلمه »

جئت الى هذه الدنيا في ٨ آب ١٨٦٦ في بلدة اورسا (Orsa) في مقاطعة دالكارنيان في بلاد السويد · وكان والدي يدعى آلكساندرموريس سترستين رئيس في فرقة المدال ووالدتي زوجته ماريا اوغستا تالن · وقد طلبت العلم في المدرسة العالية في مدينة فالوه اعتباراً من نصف السنة الخريفي في سنة ١٨٧٧ ! ونلت شهادة العالمية في ٤ حزيران سنة ١٨٨٤ ! ثم انتسبت الى دار العلوم في اوبسالا في ٣ تشرين الاول سنة ١٨٨٤ واخذت بتعلم الفلسفة في ١٤ ايلول سنة ١٨٨٩ ! واخذت درجة الرؤوس منها بالفلسفة في ١٩ تشرين اول سنة ١٨٩٤ وحزت درجة «الدكتورا في الفلسفة في ٣١ مايس سنة ١٨٩٥ ! ثم أصبحت فيها معلماً للالسنة السامية في ٨ حزيران ١٨٩٥ ومنها انتقلت الى دار العلوم في لوند استاذاً خاصاً في ٢٣ ايلول سنة ١٨٩٥ وفي ١١ تشرين اول ١٨٩٥ — ٣١ تموز ١٩٠٤ قمت بالاستاذية وكالة وفي ١١ آب ١٩٠٤ ! اصبحت استاذاً بالوكالة ايضاً في دار العلوم في اوبسالا ثم استاذاً أصيلاً للالسنة السامية في اوبسالا في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٤ ·

وفي سنة ١٨٨٩—١٨٩٠ المدرسية كنت ادرس الالسنة اللاتينية واليونانية في مدرسة بلشنشاك في اوبسالا وفي سنة ١٨٩١—١٨٩٢ المدرسية والنصف السنة الربيعي لسنة ١٨٩٣ درست اللسان العبراني في دروس خاصة للاستعداد للامتحانات الفلسفية اللاهوتية في جامعة اوبسالا وفي سنة ١٨٩٣—١٩٠١ أسند اليَّ العمل في تحرير التاريخ الشرقي الادبي ومنذ عام ١٩٠٥ ! وانا أشترك في تحرير المجلة الاسلامية وفي سنة ١٩٠٢ ذهبت الى هامبورغ الى المؤتمر الدولي الثالث عشر للمستشرقين بصفتي وكيلاً عن الحكومة والجامعة في لوند وفي ١٩٠٨ انتخبت لنيابة الرياسة للقسم الشرقي في الاجتماع الدولي الثاني للعلوم التاريخية الشرقية في برلين وفي سنة ١٩٠٨ ايضاً أنابتني الحكومة السويدية وجامعة اوبسالا في المؤتمر الدولي الى مؤتمر المستشرقين

المنعقد في مدينة قوبنهاغ وكاتم أسرار له ·

« سياحاتي العلمية » : منذ شهر آذار الى منتصف شهر ايار ومن حزيران الى منتصف ايلول ١٨٩٥ في برلين · ومن منتصف كانون الاول ١٨٩٥ الى منتصف كانون الثاني في السنة نفسها في الاسكوريال وفي حزيران — ايلول سنة ١٨٩٦ في برلين · وفي صيف ١٨٩٧ في برلين ايضاً ولوندرة واوكسفورد · وفي صيف ١٨٩٨ في برلين ولوندرة وفي العطلة الشتوية لسنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ في باريس وفي صيف ١٨٩٩ في برلين ولوندرة وليدن · وفي حزيران وآب ١٩٠٠ في برلين · وفي حزيران وآب ١٩٠١ في برلين · وفي صيف ١٩٠٢ في برلين · وفي شهر كانون اول ١٩٠٤ في برلين وفي صيف ١٩٠٦ في ايطاليا ومصر وفي حزيران ١٩٠٩ في برلين · وفي منتصف شهر كانون الثاني ١٩٠٩ حتى منتصف شهر كانون الثاني ١٩١٠ في لوندرة و برلين · ومن منتصف كانون الاول ١٩١٠ حتى منتصف كانون الثاني ١٩١١ في لبسيك و برلين · وفي حزيران ١٩١٢ في برلين · وفي حزيران ١٩١٣ في برلين · وفي حزيران ١٩١٤ في لوندرة و برلين · وفي شهر كانون الاول ١٩١٤ في برلين · وفي حزيران ١٩١٦ في برلين · وفي حزيران سنة ١٩١٩ في الدانيمرك · وفي كانون الثاني ١٩٢٠ في برلين · وفي حزيران ١٩٢٠ في برلين · وفي حزيران ١٢٩١ في لبسيك و برلين ·

وانتخبت عضواً منذ ١٩٠١ في الجمعية الشرقية الالمانية العامة في لبسيك وهاله وعضواً في جمعية النقل والترجمة في لوندرا منذ سنة ١٩٠٤ وعضواً في جمعية الالسنة القديمة في او بسالا منذ سنة ١٩٠٥ وعضواً في الجمعية الشرقية الالمانية الخاصة في برلين منذ سنة ١٩٠٩ · وعضواً في الجمعية الالمانية للعلوم الاسلامية منذ ١٩١٢ · وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق الشام منذ ١٩٢٠ · واني احد مؤسسي الجمعية الشرقية السويدية ورئيس هيئة أعمالها منذ ١٩٢١ واحد أعضاء المجمع العلمي البروسياني في برلين منذ ١٩٢٢ ·

أحمل وسام تاج بروسيا من الدرجة الثالثة منذ ١٩١٣ ووسام النجم الشمالي السويدي منذ ١٩١٤ ·

« تآليفي » : اللسان العربي · اللسان الفارسي والارمني · اللسان القديم الاوراني

(في دار الكتب في سوبريك اوفنتليغا — في ملحق الفيرست٧) رسالة يحيى بن عبد المعطي الزواوي في الدرة الالفية في علم العربية · لبسيك في سنة ١٨٩٥ · (رسالة في او بسالا) ام الحسن بن محمود بن الحسن الضرغاني · معارج الانوار النبوية من صحاح الاخبار المصطفوية لبسيك ١٨٩٦ (طبعته على نفقتي) · رسم الكتابات البدوية الحبشية الموجودة في المكتبة الملوكية في او بسالا وشرحها (في مجلة الجمعية الشرقية العامة الالمانية في جزء ٥٣) تعليق على الترجمة اليهودية الفارسية لحكم بنيامين بن يوحافان من بخارا (كذلك في الجزء ٥٤ من هذه المجموعة) طبع الالفية لابن معطي بحسب الكتابات البدوية الموجودة في برلين والاسكوريال وليدن (لبسيك ١٩٠٠) · مجموعة الكتابات البدوية اليهودية والارامية المحفوظة في المكتبة الملوكية في او بسالا ولوند ١٩٠٠ · وملاحظات على المخطوطات العربية الباحثة عن تاريخ السلاطين المماليك في سنة ٦٩٠ — ٧٤١ هجرية · ملحق لايضاح القصائد الدينية لمذهب البهائية بحسب المخطوطات السورية الموجودة في المتحف البريطاني ودار الكتب الوطنية في باريس ودار الكتب الملوكية في برلين وقد نشر هذا الملحق وترجم في لبسيك في سنة ١٩٠٢ · أمثلة على الحكمة العربية (فعن kana او فعر او كعر) صيغة المذكر (في مجلة الشمال الباب الثالث H) · كرل بيشل (في مجلة الشمال الباب الرابع) · بانت سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام بعده حتى سنة ٢٣٠ للهجرة (٥) تواريخ لحياة خلفائه في المدينة ونسائه وخلفائه في بقية البلاد العربية (طبع في ليدن في ١٩٠٥) · هرمان انكيرست (في مجلة الشمال الباب الثالث) · أنشودة روحية في الفليحي Fellihi (في التدقيقات الشرقية لصاحبها · نودكه طبعت في كيسن ١٩٠٥) هرمان انكيرست (القرآن — الانجيل المحمدي) طبع في استكهلم ١٩٠٦ للمرة الثالثة وللمرة الرابعة في استكهلم ايضاً في سنة ١٩١٨ ! (في مجلة الطلاب الجزء الثالث) · ابن سعد و كتاب الطبقات الكبير (في العالم الشرقي ١) · المعجم القديم للالسنة النوبية (كذلك في العالم الشرقي) · اللسان النوبي (في مجلة اورداوك بلد ١٦ !) · تاريخ الالسنة النوبية (في مجلة الالسنة القديمة او بسالا ١١ : ٤ !) · تقرير بالمخطوطات التي خلفها الاستاذ طوليرغ المحفوظة في مكتبة جامعة او بسالا (في العالم الشرقي ٢) · القرآن

(بحسب الوثائق القديمة الدينية في فرمنانده ٢: ٢) ٠ في الادبيات الصوفية (كذلك في فرمنانده) ٠ بانت سعاد تاريخ حياة محمد ونسائه ورجال الاسلام المتأخرين حتى سنة ٢٣٠ للهجرة ٠ ستة تواريخ بالكوفي او من المنقولات ؟ طبع في ليدن سنة ١٩٠٩ مخطوطات عبرية تحتوي على زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (في مجلة الشرق ٣) ٠ بعض جمل من التوراة مترجمة للسان النوبي الشمالي ترجمها احد النوبيين مطبوع (في مجلة الشرق ايضاً) ترجمة قديمة لرطسمهارا (Rtusamhara) (مطبوعة ايضاً في مجلة الشرق ٤) ٠ ملاحظات تاريخية (كذلك مطبوعة في مجلة الشرق) ٠ بعض كلمات في المنقولات (في مجلة الشرق) ٠ بيلديرم اول بارامز (في المجلة السويدية ٧ — ٣) مطالعات في مذهب اسلامي في اللسان الاسبانيولي واحرف عربية ولاتينية (تذكار مئة سنة لميشيل آماري بالرمو ١٩١٠) ٠ تدقيقات نوبية في السودان ١٨٧٧ — ١٨٧٨ من متروكات الاستاذ هرمان المكريست (طبع في السويد في مجلة سويدية ١٠) تاريخ حياة محمد طبع في اوبسالا في ٤ تشرين الاول ١٩١١ [زامة] خلاصة اوبسالا ١٩١١ ٠ ترجمة بعض فصول القرآن باللغة الاسبانيولية (في العالم الشرقي ٥) معجم اللغتين الايطالية والنوبية لصاحبه اركانجلو كاررادون ٠ طبع في العالم الشرقي (٥ ، ٨ ، ٦ ، ٩ ، ٣) ٠ ترجمات شرقية و يونانية (في العالم الشرقي ايضاً الجزء ٦) ٠ بحث في اللغات القديمة مطبوع في اوبسالا ١٩١٢ ٠ قصيدتان لسحيم او سحيم ؟ من متروكات هانري طوبكاز (في المجلة الاشورية ٢٦) ٠ كتاب باللغات الشرقية باللغة السويدية ؟ في ١٨ تشرين الاول ١٩١٢ وأوبسالا ١٩١٣ ٠ نقد طبع كتاب معيد النعم ومبيد النقم لصاحبه دو٠مهان ٠ (اوبسالا في ١٩١٣) ٠ معجم عربي (خطي للاستاذ اردمان او بسالا في ١٩١٣) ٠ الالسنة السامية جامع الازهر في القاهرة ٠ او بسالا ١٩١٤ ٠ مطالعات في الالسنة الشرقية (٣١) في اصل اللغة العبرانية وغيرها من الالسنة القديمة وكيفية اشتقاقها (في العالم الشرقي ٨ اي Le Monde Oriental) في علاقة الالسن الشمالية بعضها ببعض (كذلك في العالم الشرقي ٩) كتاب بحق باز يليوس فون سزابور (طبع في الخطاب الشهير المقدم لسزاخاو في برلين ١٩١٥ ٠ تاريخ المطران رابولا في ادسا (÷ ٤٣٥) ٠ كتاب اللغة السويدية في

البراغا الفارسية الجديدة (في العالم الشرقي) ٠ بعض التصاريف الماضية باللغة العربية الحديثة (كذا في العالم الشرقي ١١) ترجمة القرآن العربي ؟ استكهلم ١٩١٧ ٠ كتاب باللغة السويدية في التوزن (Tusen) (في العالم الشرقي ١٢) ٠ في نسخ الاسماء الفارسية (استكهلم ١٢) في س ٠ هدين ، سياحة في شرق بلاد الفرس ١٩١٨ استكهلم في بعض الاسماء الجغرافية في آسيا الداخلية ونسخها (مطالعات لطابنار لوند ١٩١٨) ٠ شرح تاريخ السلاطين المماليك في سنة ٦٩٠ — ٧٤١ للهجرة بحسب المخطوطات العربية ليدن ١٩١٩ ٠ بالطهجي محمد باشا وبطرس الاكبر ١٧١١ — ١٩١١ لاحمد رفيق تركستان ؟ ١٩١٩ ٠ تهذيب اللغة للازهري (في العالم الشرقي ١٤) المذهب البابي (كذلك في العالم الشرقي) ٠ مخطوطات عبرانية لو نْدِل (في اوبلاند) ٠ مقالات في جزائر اسوبدية المحلة الاسلامية وتواريخ وشروح في الجرائد المذكورة ٠ مشروحة في الكتب الشرقية ومجموعاتها وتآليفها ٦ الى ١٥ ٠ مناقشات في هذه المواضيع (في العالم الشرقي) و (العنقاء او ابو الهول Sphinx) ٠ والمجلة التاريخية والمجموعة الشمالية لعلوم اللغة والمجلة الادبية الالمانية والمجلة الادبية الشرقية والمجلة اللاهوتية الادبية ٠

وانا احد محرري مجلة العالم الشرقي من سنتها ١ — ٣ ورأس محرري هذه المجلة في سنتها ٤ — ١٥ ومحررها الوحيد منذ سنتها السادسة عشرة ٠

اسمي المستعار عبد الرحمن وتوقيعي المعروف هو K.v.Z.

اوبسالا في ١٥ آذار سنة ١٩٢٢ K.v.Zetterstéen

مطبوعات حديثة

تقويم العالم الاسلامي

« تأليف السيد ماسنيون الطبعة الثانية بباريز ص ٢٩٠ »

M. L. Massignon : Annuaire du Monde Musulman (1925) Paris

هذا تقويم سنوي أصدره بالفرنسية صديقنا الاستاذ السيد ماسنيون المعروف في العالم الاسلامي بابحاثه وتآليفه المنقحة أورد فيه إحصاآت ومسائل تاريخية واجتماعية واقتصادية يستغني بها الباحث في حالة العالم الاسلامي عن الاستكثار من المظان والمصادر التي نفيده في التعرف الى سير العلم والاجتماع في عامة بلاد الاسلام . واذا وقعت الآن بعض هنات ننتقد في هذه الطبعة فان الطبعة الثالثة ستكون أتمّ وأمتع بالنظر لما امتاز به عضو مجمعنا العلمي العربي في باريز من بعد النظر وشدة البحث وما عقده من الصلات المستديمة مع الشرق الاسلامي فنشكره على هذه التحفة الجديدة ونرجو له التوفيق في اعماله العلمية النافعة . م . ك

نهلة الظمآن

« في الخطابة والكتابة والشعر والبيان »

وضع هذا الكتاب الاستاذ جرجس الخوري المقدسي احد اساتذة الجامعة الاميركية في نحو مئة صفحة وهي محاضرات كان يلقيها على تلامذته في الفنون المذكورة ثم جردها بشكل كتاب فكان نعم المعين في الوصول الى زبدة هذه الفنون من أقرب الطرق وأسهل الأساليب شأن المؤلف في معظم ما يكتبه و يحاضر به . فننصح لكل راغب في ان تكون له مقدرة على الخطابة والكتابة في الاسلوب البليغ ان يطالع هذا الكتاب النفيس الصغير في حجمه الكبير في فائدته وعلمه .

المغربي

عشرة ايام في السودان

« صنفه الدكتور محمد حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة »
« طبع في المطبعة العصرية بمصر عدد صفحاته ٢٢٠ »

هذا الكتاب مجموعة ملاحظات ومعلومات جمعها مؤلفه اثناء رحلته القصيرة في السودان فقد دعته حكومة السودان لحضور حفلة افتتاح خزان سنار في ٢١ يناير (كانون الثاني) من سنة ١٩٢٦ م فشهد تلك الحفلة بالنيابة عن اخوانه الصحافيين وان عشرة ايام يقضيها الاستاذ هيكل في السودان يتنسم أخباره ويعجم أطواره كمثل عشرة اشهر لغيره اذا حاول ما حاوله من وصف تلك البلاد وتصوير أوضاع حكومتها وأحوال سكانها : فهو عدا وصفه للعمل الهندسي العظيم الذي وقع الاحتفال لاجله ووصف الحفلات التي أقيمت والرجال الرسميين الذين شهدوا الحفلة والخطب التي أُلقيت فيها — اتى ايضاً على وصف أخلاق اهل السودان وبعض عاداتهم وحالة بلادهم من الوجهة الاجتماعية والزراعية والأخلاقية ولم يدع الإشارة الى علاقتها السياسية بكل من مصر وانكلترا وتنازع مصالحها ثم وقارن بين شعوري المصريين والانكليز الذين كانوا يتجولون في مكان الاحتفال بافتتاح الخزان ووصف الشيخ (البرغني) الزعيم الكبير في تلك البلاد وصفاً عميقاً الى غير ذلك مما يهم القراء لا سيما محبي مصر منهم ٠ اما طبع الكتاب فغاية في الحسن والجودة وقد زُيّن ببضعة عشر رسماً تمثل أماكن الاحتفال وبعض مباني البلاد السودانية وصورة الخزان وغيرها ٠ والكتاب بجملته تلذ مطالعته لكل قارئ لما فيه من دقة الوصف وجمال الأسلوب وطريف الحوادث٠ فالشكر لمؤلفه الفاضل ولناشره السيد الياس انطون الياس صاحب المطبعة العصرية التي اشتهرت بما تصدره من المصنفات الممتعة ٠

المغربي